UNIVERSAL
LIBRARY
OU_232535
UNIVERSAL
LIBRARY

بعون الله الخلاق حسن توفيقه بهذا الاخلاق

قد استنبطع الرسالة العجيبة والصحيفة الغريبة المسماة

بكتاب الطهارة في تنظيف الاخلاق على ما يريده

على ما اطبعها صاحب الافخم والحاكم المجد الاعظم الصباح الامم صناع الكرام ملجأ الكرام بمحسن بنا قائم مقام صاحب بهادر دستيت

في المطبعة العلوم المنسوبة الى بخشيخان

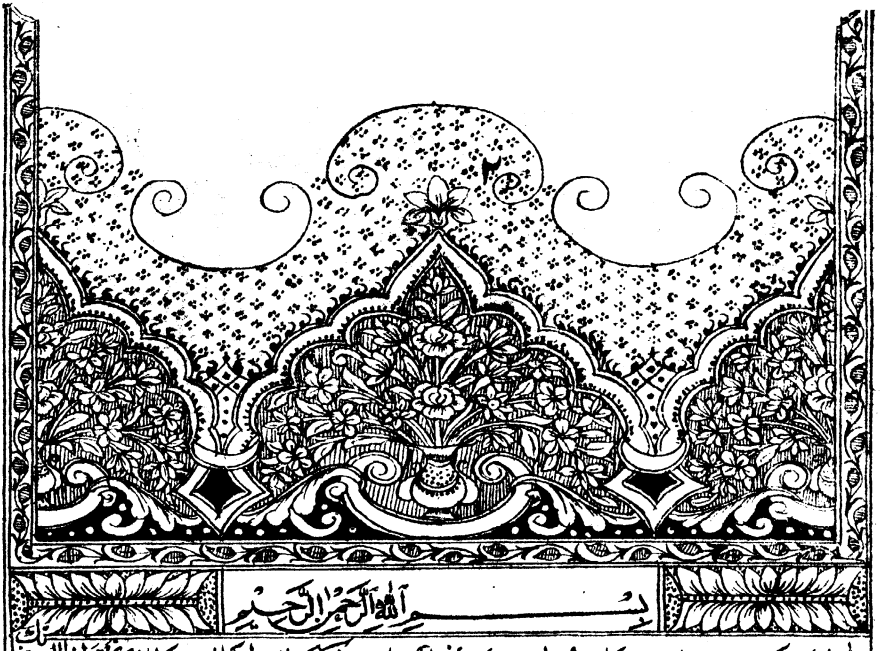

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم انا نتوجه اليك ونسعى بحولك ونجاهد نفوسنا في طاعتك ونركب الصراط المستقيم الذي يحصل لنا الى مرضاتك فاعنا بقوتك واهدنا بعزتك واعصمنا بقدرتك وبلغنا الدرجة العليا برحمتك والسعادة القصوى بجودك ورأفتك انك على ما تشاء قدير **غرضنا** في هذا الكتاب ان نحصل لانفسنا خلقا تصدر به عنا الافعال كلها جميلة ويكون مع ذلك سهلة علينا لا كلفة فيها ولا مشقة ويكون ذلك بصناعة وعلى ترتيب تعلمي والطريق الى ذلك ان نعرف اولا نفوسنا ما هي واي شيء هي وكاي شيء اوجدت فينا اعني كمالها وغايتها وما قواها وملكاتها التي اذا استعملناها على ما ينبغي بلغنا بها هذه الرتبة العلية وما الاشياء العائقة لنا عنا وما الذي نزكيها فنفلح وندسيها فنخيب فان الله عز وجل يقول قد افلح من زكيها وقد خاب من دسيها ولما كان لكل صناعة مبادي عليها تبتنى وبها تحصل وكانت تلك المبادي ماخوذة عن صناعة اخرى فليس في شيء من هذه الصناعات ان يبين مبادي انفسها كان لنا عذر واضح في ذكر مبادي هذه الصناعة على طريق الاجمال والاشارة بالقول الوجيز وان لم يكن مما قصدنا له واتباعها بعد ذلك بما تحتياه من اضافة الحلو الشريف الذي تشرو شبرفا ذا ايا حقيقيا على طريق العرض الذي لا اثبات له ولا تحقيق على المكتسب بالمال والكرامة او السلطان والغالبة او الاضطرار والمواضعة **فنقول** وبالله التوفيق لا بين انا نشاهد شيئا يشبه الجسم ولا هو جسم ولا عرض لا محالة فهو جوهر الى فوق جسمية بل هو جوهر بسيط غير محسوس بشيء من الحواس اثر بين ما مقصورنا منه الذي خلقنا له وهذا بان

اليه فنقول انا لما وجدنا في الانسان شيئا مايضاد الاجسام بجملته وخواصه ولما فعال يضاد افعال الجسم وخواصه حتى لا تشاركه في حال من الاحوال وكذلك بعد ما بانت الاعراض ويضادها كلها غاية المباينة وجدنا هذه المضادة والمباينة منه للاجسام والاعراض انما هي من حيث كانت الاجسام اجساما والاعراض اعراضا حكمنا بان هذا الشئ ليس جسما ولا جزء من جسم ولا عرضا وذلك انه لا يستحيل ولا يتغير ايضا فانه يدرك جميع الاشياء بالسوية ولا يلحقه قوة ولا كمال ولا نقص وبيان ذلك ان كل جسم له صورة فانه ليس يقبل صورة اخرى من جنس صورته الا بعد مفارقته الصورة الاول مفارقة تامة مثال ذلك ان الجسم اذا قبل صورة او شكلا من الاشكال كالمثلث مثلا فليس يقبل شكلا اخر من التربيع والتدوير وغيرهما الا بعد ان يفارقه الشكل الاول وكذلك اذا قبل صورة نقش او كتابة او اي شئ كان من الصور فليس يقبل صورة اخرى من ذلك الجنس الا بعد زوال الاول وبطلانها البتة فان بقي فيه شئ من رسم الصورة الاول لم يقبل الصورة الثانية على التمام بل يختلط فيه الصورتان فلا يخلص لاحدهما على التمام ومثال ذلك انه اذا قبل الشمع صورة نقش في الخاتم لم يقبل غيره من النقوش الا بعد ان يزول عنه رسم النقش الاول وكذلك الفضة اذا قبلت صورة الخاتم وهذا حكم مستمر في الاجسام كلها وتخرج النفس انها تقبل صورة الاشياء كلها على اختلافها من المحسوسات والمعقولات على التمام والكمال من غير مفارقة الاول ولا معاينة ولا زوال رسم بل يبقى الرسم الاول تاما كاملا ثم لا يزال يقبل صورة بعد صورة ابدا دائما من غير ان يضعف او يقصر في وقت من الاوقات عن قبول ما يطرء عليها من الصور بل تزداد في الصورة الاول قوة على ما يرد عليها من الصور الاخرى وهذه الخاصة مضادة لخواص الاجسام وبهذه العلة يزداد الانسان فهما كلما ارتاض وتخرج في العلوم والاداب فليست النفس اذن جسما فاما انها ليست بعرض فبين من قبل ان العرض لا يحمل عرضا لان العرض في نفسه محمول ابدا اي موجود في غيره لا قوام له بذاته وهذا الجوهر الذي وصفنا حاله هو ابدا حامل بالقوة اكمل من حمل الاجسام والاعراض فاذن النفس ليست جسما ولا جزءا من جسم ولا عرضا وايضا فان الطول والعرض والعمق الذي به صار الجسم جسما يحصل في النفس في قوتها الوهمية من غير ان يصير به اطول ولا اعرض ولا اعمق بل لا يصير جسما البتة ولا اذا تصورت ايضا بكيفيات الجسم تكيفت بها اعني اذا تصورت الالوان والطعوم لم تتصور بها كما يتصور الاجسام ولا يمنع بعضها قبول اضدادها كما يمنع في الجسم بل يقبلها كلها في حالة واحدة بالسواء وكذلك حالها في المعقولات فانها يزداد بكل معقول يحصله قوة على قبول غيره

دائما ابدا بلا نهاية وهذه حال مقابلة لاحوال الاجسام خاصة فى غاية البعد عن خواصها **وايضا** فان الجسم وقواها
لا تعرف العلوم الا من الحواس ولا تميل الا اليها فتشوقها بالملابسة والمشابكة مثل الشهوات البدنية وحبة الانتقام
الغلبة وبالجملة كلما يحس يوصل اليه بالحس فيزداد بهذه الاشياء قوة ويستفيد منها تماما وكمالا افعاديه واسبابا
وجوه فيفرح بها ويشتاق اليها من اجل انها تتم وجوده وتزيد فيه وتمده فاما هذا المعنى الاخر الذى سميناه نفسا فانه كلما تباعد من
هذه المعانى البدنية التى احصيناها وتدخل الى ذاته وتخلى عن الحواس بالكلية ما امكن ازداد قوة وتماما وكمالا ويظهر له الآراء
الصحيحة والمعقولات البسيطة وهذا اول دليل على ان طباعه من غير طباع الجسم والبدن وانه اكرم جوهرا وافضل طباعا من كل ما
فى هذا العالم من الامور الجسمانية **وايضا** فانه يتشوق الى ما ليس فى طباع البدن وجوهره على مقترحها يتشوق الامور الالهية وتميل الى
الامور التى هى افضل من الامور الجسمية وايثارا له وانصرافا عن الامور اللذات الجسمانية لتحصيل اللذات العقلية يدلنا
دلالة واضحة على انه مزجوهرا على اكرم جدا من الامور الجسمانية لانه لا يمكن فى شئ من الاشياء ان يتشوق ما ليس من طبيعته
ولا ان ينصرف عما يكمل ذاته وقيوم جوهره فاذا كان افعال النفس اذا انصرفت الى ذاتها وتركت الحواس مخالفة لافعال البدن
ومضادة لها فان عادتها وارادتها فالمحالة انها جوهر مفارق بجوهره البدن ومخالف له فى طبيعته **وايضا** فان النفس الناطقة
ياخذ كثيرا من مبادئ العلوم عن الحواس فلها من نفسها مبادئ اخر افعال لا ياخذها عن الحواس البتة وهى المبادئ المشتركة
العالية التى يبتنى عليها القياسات الصحيحة وذلك انها اذا حكمت انه ليس بين طرفى النقيض واسطة فانها لم ياخذ هذا
الحكم من شئ آخر لانه اول ولو اخذته من شئ آخر لم يكن اول **وايضا** فان الحواس تدرك المحسوسات فقط واما النفس فانها تدرك
الاتفاقات واسباب الاختلافات التى بين المحسوسات وبين معقولاتها التى لا يستعين عليها شئ من الجسم ولا آثار الجسم وكذلك اذا حكمت
على الحس بانه صدق او كذب فليس يأخذ هذا الحكم من الحس لان الحس ربما نفسه يحكم به ونحن بهذا الفعل لعاقلة فينا نستدرك اشياء كثيرا من خطإ
الحواس فى مبادئ افعالها وترد عليها احكامها من ذلك ان البصر يخطئ فيما يراه من قرب ومن بعد اما خطاؤه فى البعيد
فمبادرا كله الشمس صغيرة مقدارها عرض قدم وهى مثل الارض كلها مائة وبيفا وستين مرة فنشهد بذلك البرهان العقلى فيقبل
منه ونرد على الحس ما شهد فلا يقبله واما خطاؤه فى القريب فى مذاقة تحنو الشمس اذا وقع علينا من ثقب عرعات صغار كخلل
البوارى واشباهها التى يستظل بها فانه يدرك ضوءا واصل الينا منها مستديرا فنرد عليه هذا الحكم وتغلطه فى ادراكه
ونعلم انه ليس كما يراه ويخطئ البصر ايضا فى حركة القمر والسحاب والسفينة والشاخص ويخطئ فى الاماكن ويتعجل الشخص

واشباهها حتى يراها مختلفة فى اوضاعها ويخطى ايضا فى الاشياء التى تحركت على الاستدارة حتى يراها كالحلقة وكالدولاب ويخطى ايضا فى الاشياء العايصة فى الماء حتى يرى بعضها اكبر من مقداره ويرى بعضها منكسرا وهو صحيح وبعضها مقوسا وهو مستقيم ويرى بعضها منكوسا وهو منتصب فليستخرج اسباب هذه كلها من مبادى عقلية ويحكم عليها احكاما صحيحة كذلك الحال فى حاسة السمع وحاسة الذوق وحاسة الشم وحاسة اللمس اعنى ان حاسة الذوق تغلط فى الحلو فتجد مرا وحاسة السمع تغلط فى المواضع الصقيلة الشديدة واشباهها عند الصدا وما اشبهه وحاسة الشم تغلط كثيرا فى الاشياء المنتنة لاسيما فى المنتقل من رايحة الى رايحة فالعقل يرد هذه القضايا ويقيف فيها ويستخرج اسبابها ويحكم فيها احكاما صحيحة والحاكم فى الشئ المزيف له اما الصحيح افضل واعلى رتبة من المحكوم عليه وبالجملة فان النفس اذا علمت ان الحس قد كذب او صدق فليس ياخذ هذا العلم من الحس ثم اذا علمت انها قد ادركت معقولا فليس تعلم هذا العلم من علم اخر فانها لو علمت هذا العلم من علم اخر لاحتاجت فى ذلك العلم ايضا الى علم اخر وهذا تمر بلا نهاية فاذ علمها بانها علمت ليس بماخوذ من علم اخر البتة بل هو من ذاتها وجوهرها اعنى العقل وليست تحتاج فى ادراك ذاتها الى شئ اخر غير ذاتها ولهذا ما قيل فى اواخر هذا العلم ان العقل والعاقل والمعقول شئ واحد لا غير تعنى فيه وهذا شئ يبين فى موضعه **واما الحواس** فلا تحس ذواتها ولا اما هو موافق لها كالموافقة كما سنبين ايضا فاذ قد تبين من هذه الاشياء بيانا واضحا ان النفس ليست بجسم ولا جزء من جسم ولا حال للجسم وانها شئ اخر مفارق للجسم بجوهره واحكامه وخواصه وافعاله **فنقول** اما شوقها الى افعالها الخاصة بها اعنى العلوم والمعارف مع هربها من افعال الجسم الخاصة به فهو فضيلتها وبحسب طلب الانسان لهذه الفضيلة وحرصه عليها يكون فضله وهذا الفضل تتزايد بحسب عنايته الانسان بنفسه وانصرافه عن الامور العايقة له عن هذا النحو بجهده وطاقته وقد وضح بما تقدم ما الاشياء العايقة لنا عن الفضائل اعنى الاشياء البدنية والحواس وما يتصل بها فاما الفضائل انفسها فليس يحيل لنا الابعد ان يطهر نفوسنا من الرذايل التى هى اضدادها اعنى شهواتها الردية الجسمانية ونزواتها الفاحشة البهيمية فان الانسان اذا علم ان هذه الاشياء ليست فضايل بل هى رذايل تجنبها وكره ان يوصف بها واذا ظن انها فضايل لزمها وصارت له عادة وبحسب المباشرة وتبلسنه لها يكون بعدا من قبول الفضايل وقد يظهر للانسان ان هذه الاشياء التى لبشاشتها البدن بالحواس يميل اليها الجمهور اعنى المآكل والمشارب والمناكح هى رذايل وليست فضايل انه اذا تفقدها فى الحيوانات وجدكثيرا منها اقدر على

الاستكثار منها والحرص عليها كالخنزير والكلب واصناف كثيرة من حيوان الماء وسباع الوحش والطير فاما قوى الانسان
على هذه بهذه الاشياء واكثر احتمالا لها وليست تلك بها افضل من الانسان وايضا فان الانسان اذا اكتفى من طعام
وشراب وسائر الآلات البدنية اذا عرض عليه الاستزادة منها كما يستزاد من الفضايل ابى ذلك وتبين له قبح صورته من
يتعاطاها لا سيما مع الاستغناء عنها والاكتفاء منها بل يتجاوز ذلك الى مقته وذمه بل الى تقويمه وتاديبه فينبغى الان
ان نقدم لما نطلبه من سعادات النفس فضائلها كلاما يسهل به فهم ما يريده **فنقول** كل موجود من حيوان ونبات وجماد
كذلك بسايطها اعنى النار والهواء والماء والارض وكذلك الاجرام العلوية لها قوى وملكات وافعال بها يتصير ذلك
الموجود هو ما هو وبها يتميز عن كل ما سواه وله ايضا قوى وملكات وافعال لها يشارك ما سواه ولما كان الانسان من بين
الموجودات كلها هو الذى يلتمس له الخلق الجميل والافعال المرضية وجب ان لا يتظر فى هذا الوقت فى قواه وملكاته وافعاله
التى بها يشارك سايرالموجودات اذ كان ذلك من حق صناعة اخرى وعلم اخر يسمى العلم **الطبيعى** فاما افعاله القوة
وملكاته التى يختص بها من حيث هو انسان وبها يتم انسانيته وفضايله فى الامور الارادية التى يتعلق فيها الفكر والتميز والنظر فيها
يسمى الفلسفة العملية والاشياء الارادية التى ينسب الى الانسان ينقسم الى الخيرات والشرور وذلك ان الغرض المقصود بوجود
الانسان اذا توجه الواحد منا اليه حتى يحصل له هو الذى يجب ان يسمى به خيرا وسعيدا واما من عاقه عوائق اخر عنها فهو
الشرير الشقى فاذن الخيرات هى الامور التى يحصل للانسان بارادته وسعيه من الامور التى لها اوجد الانسان ومن اجلها
خلق والشرور هى الامور التى يعوق عن هذه الخيرات بارادته وسعيه او كسله وانصرافه والخيرات قد قسمها الاولون الى
اقسام كثيرة نحن نعدها فيما بعد ان شاء الله **وقد** قدمنا القول ان كل واحد من الموجودات له كمال خاص به وفعل
لا يشاركه فيه غيره من حيث هو ذلك الشىء اعنى انه لا يجوز ان يكون موجود سواه اصلح لذلك الفعل منه وهذا
حكم مستمر فى الامور العلوية والامور السفلية كالشمس وسائر الكواكب وكانواع الحيوان كلها كالفرس والبازى وكالنبات
والمعادن وكالعناصر والبسايط التى متى تفحصت احوالها تبين لك من جميعها صحة ما قلناه وحكمنا به فاذن الانسان
من بين سائر الموجودات له فعل خاص به لا يشاركه فيه غيره وهو ما صدر عن قوته المميزة المروية فكل من كان تمييزه
اصح ورويته اصدق واختياره افضل كان اكمل فى انسانيته وكما ان السيف والمنشار وان صدر عن كل واحد منهما
فعله الخاص بصورته الذى من اجله عمل فافضل السيوف ما كان امضى وانفذ وما كفاه اليسر من الايمان فى بلوغ غايته

كمال الذى اعد له وكذلك الحال فى الفرس والبازى وسائر الحيوانات الاخر فان افضل الافراس ما كان اسرع كرا
واشد تيقظا لما يريد الفارس فى طاعته للجام وحسن القبول فى الحركات وخفة العدو والنشاط وكذلك الانسان
افضلهم من كان اقدر على افعاله الخاصة به واشدهم تمسكا بشرائط جوهره الذى يميزه من الموجودات فاذا اذن بالواجب
الذى لا مرية فيه ينبغى ان نحرص على الخيرات التى هى كمالنا والتى من اجلها خلقنا ونجتهد فى الوصول الى الانتهاء
اليها ونجتنب الشرور التى تعوقنا عنها وتنقصنا حظنا منها فان الفرس اذا قصر عن كماله ولم يظهر افعاله الخاصة به على افضل
احوالها حط عن مرتبة الفرسية واستعمل بالاكاف كما يستعمل البغل وكذلك السيف وسائر الآلات متى قصرت
ونقصت لافعاله الخاصة بها حطت عن مراتبها واستعملت استعمال ما دونها والانسان اذا انقصت افعاله اوصرت
عما خلق له لاجلى ان يكون رويته وافعاله التى تصدر عنه وعن رويته خيرا كما له لحرى ان يحط عن مرتبة الانسانية الى مرتبة
البهيمية هذا اذا صدرت افعاله الانسانية عنه ناقصة غير تامة فاما اذا صدرت عنه بضد ما اعد له اعنى الشرور التى
تكون بالرؤية الناقصة او المعدول بها عن جهتها لاجل الشهوة التى يشارك فيها البهيمية او الاغترار بالامور الحسية التى
تشغله عما عرض له من تزكية نفسه التى ينتقى بها الى الملك الرفيع والى السرور الحقيقى وتوصله الى قرة العين التى قال
الله عز وجل وعز من قايل فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين وتبلغه الى جوار رب العالمين فى النعيم المقيم واللذات التى
لم ترها عين ولا سمعتها اذن ولا خطر على قلب بشر والخدع عن هذه الموهبة السرمدية الشريفة بتلك الخساسات التى
لا ثبات لها فى تحقيق ما نالقت من خالقه عز وجل خليق بتحميل العقوبة له والراحة منه داخلا بين العباد والبلاد
منه **واذ** قد تعين ان سعادة كل موجود من اشخاص الانسان انما هى فى صدور افعاله الانسانية عنه
بحسب تمييزه ورويته وان لهذه السعادة مراتب كثيرة بحسب الرؤية والمروى فيه لذلك قيل لفضل الروية ما كانت
افضل مروى فيه ثم ينزل رتبة رتبة الى ان ينتهى الى النظر فى الامور الممكنة من العالم الحسى فيكون الناظر فى هذه
الاشياء قد استعمل رويته والصورة الخاصة به التى من اجلها صار سعيدا معرضا للملك الابدى والنعيم السرمدى فى شاهد
دنت لا وجود لها بالحقيقة فقد تبين اذن اجناس السعادات بالجملة واضدادها من الشقاوات واجناسها وان الخيرات
والشرور فى الافعال الارادية هى اما باختيار الافضل والعمل به واما باختيار الادون والميل اليه ولما كانت
هذه الخيرات الانسانية كثيرة وملكاتها التى فى النفس كثيرة لم يمكن فى طاقة الانسان الواحد القيام بجميعها وجب ان

يقوم بجميعها جماعة كثيرة منهم ولذلك وجب ان يكون اشخاص الناس كثيرة وان يجتمعوا في وقت واحد على تحصيل هذه
السعادة المشتركة ليكمل كل واحد منهم لمعاونة الباقين له فيكون الخيرات مشتركة والسعادة فوضى بينهم فيتوخى بها
حتى يقوم كل واحد بخزنها ويتم للجميع معانة الجميع الكمال الاقصى ويحصل لهم السعادات الثلث التي شرحناها في كتاب الترتيب ولاجل ذلك
وجب ان يحب الناس بعضهم بعضا لان كل واحد يرى كماله عند الاخر فلولا ذلك ما تمت لهذا سعادته فيكون اذن
كل واحد بمنزلة عضو من اعضاء البدن وقوام الانسان بتمام اعضائه وقد تبين للناظر في هذه النفس وقواها انها تنقسم
الى ثلثة اقسام اعني القوة التي بها يكون الفكر والتمييز والنظر في حقايق الامور والقوة التي بها يكون الغضب والنجدة
والاقدام على الاهوال والشوق الى التسلط والترفع وضروب الكرامات والقوة التي بها تكون الشهوة وطلب الغذاء و
الشوق الى الملاذ في المآكل والمشارب والمناكح وضروب اللذات الحسية وهذه الثلث متباينة ويعلم ذلك من ان
بعضها اذا قوى اضر بالاخر وربما ابطل احدها فعل الاخر وهذه ربما جعلت نفوسا وربما جعلت قوى لنفس واحدة والنظر
في ذلك ليس يليق بهذا الموضع وانت تكتفي في تعلم الاخلاق بانها قوى ثلث متباينة يقوى احدها ويضعف بحسب
المزاج والعادة او التاديب **فالقوة الناطقة** هي التي تسمى الملكية والتي تستعملها من البدن الدماغ **والقوة الشهوية**
هي التي تسمى البهيمية والتي تستعملها من البدن الكبد **والقوة الغضبية** التي تسمى السبعية والتي تستعملها من البدن
القلب فلذلك وجب ان يكون عدد الفضايل بحسب اعداد هذه القوى وكذلك اضدادها التي هي رذايل فمتى كانت
حركة النفس الناطقة العاقلة معتدلة وغير خارجة عن ذاتها وكان شوقها الى المعارف الصحيحة المظنونة معارف
هي بالحقيقة جهالات حدث عنها فضيلة العلم وتبعها الحكمة ومتى كانت حركة النفس البهيمية معتدلة منقادة
للنفس العاقلة غير متباينة عليها فلا مقسطة لها ولا ممنعة في اتباع هواها حدثت عنها فضيلة العفة وتبعها فضيلة
السخا ومتى كانت حركة النفس الغضبية معتدلة تطيع النفس العاقلة فيما يقسطه لها فلا تجمح في غير جنسها ولا تحتد
اكثر مما ينبغي لها حدث عنها فضيلة الحلم وتبعها فضيلة الشجاعة ثم تحدث عن هذه الفضايل الثلث باعتدالها بالنسبة
بعضها الى بعض فضيلة هي كمالها وتمامها وهي فضيلة العدالة ولذلك اجمع الحكماء على ان اجناس الفضايل اربع وهي
الحكمة والعفة والشجاعة والعدالة ولذلك لا يفتخر احد لا بها ولا بهذه الفضايل فقط فاما من افتخر بابائه الاسلام
فلانهم كانوا على بعض هذه الفضايل او عليها كلها وكل واحدة من هذه الفضايل اذا تعدت صاحبها الى غيره سمي

سمى صاحبها بها ومدح عليها واذا اقتصر بها على نفسه لم يسم بها بل عيرت هذه الاسماء **اما الجود** اذا الرتبة سمى صاحبها منفاقا **واما الشجاعة** فان صاحبها يستى انفا **واما العلم** فان صاحبه يسمى مستبصرا ثم ان صاحب الجود والشجاعة اذا سمى غيره بفضيلته وتعدته رجى باحدهما واحتشم وهيب بالاخر وذلك فى الدنيا فقط لانهما فضيلتان حيوانيتان فاما العلم فان صاحبه اذا اقتداه رجى واحتشم فى الدنيا والاخرة لانه فضيلة انسانية ملكية **واضداد** هذه الفضايل الاربع من الرذايل ايضا اربع وهى الجهل والشره والجبن والجور وتحت كل واحد من هذه الاجناس انواع كثيرة سنذكر منها ما يمكن ذكره **فاما** اشخاص الانواع فهى بلا نهاية وهى امراض نفسانية نتحدث عنها الاركثيرا كالخوف والحزن والغضب وانواع الفسق الشهوانى وضروب من سوء الخلق سنذكره على اجمالها فيما بعد انشاء الله والذى يجب علينا الان تحديد هذه الاشياء اعنى الاجناس الاربعة التى تحتوى على جمل الفضايل فنقول **اما الحكمة** فهى فضيلة النفس الناطقة المميزة وهى ان تعلم الموجودات كلها من حيث هى موجودة وان شئت فقل ان تعلم الامور الالهية والامور الانسانية ويتبع علمها بذلك ان يعرف المعقولات انها تجب ان تفعل وانها تجب ان لا تفعل **واما العفة** فهى فضيلة الجزء الشهوانى وظهور هذه الفضيلة فى الانسان يكون بان تصرف شهواته بحسب الراى اعنى ان يوافق التمييز الصحيح لا ينقاد لها ويصير بذلك حرا غير متعبد لشئ من شهواته **واما الشجاعة** فهى فضيلة النفس الغضبية وتظهر فى الانسان بحسن انقيادها للنفس الناطقة واستعمال ما يوجبه الراى فى الامور الهايلة اعنى ان لا يخاف من الامور المفزعة اذا كان فعلها جميلا والصبر عليها محمودا **واما العدالة** فهى فضيلة للنفس يحدث لها من اجتماع هذه الفضايل الثلث التى حددناها وذلك عند مسالمة هذه القوى بعضها لبعض واستسلامها للقوة المميزة حتى لا يغالب ولا يتحرك نحو ظلم باطنا على سوء مطالبها ويحدث للانسان بها هيئة يختار بها ابدا الانصاف من نفسه على نفسه اولا ثم الانصاف والانتصاف من غيره وسنتكلم على كل واحدة من هذه الفضايل بكلام اوسع من هذا اذا ذكرنا الفضايل التى تحت كل جنس من هذه الاربع اذ كان غرضنا فى هذا الموضع الاشارة اليها بالرسوم الوجيزة ليتهيأ لها التعلم والذى ينبغى ان يتبع ما قدمناه ذكر انواع هذه الاجناس وما تحت كل واحد منها **اما** الاقسام التى تحت الحكمة فهى هذه الذكاء الذكر والتعقل سرعة العلم و

قوته صفاء الذهن سهولة التعلم بهذه الاشياء يكون احسن الاستعداد للحكمة **فاما** الوقوف على جواهر هذه الاقسام
نيكوذ من حدودها وذلك ان العلم بالحد وبه يعلم جواهر الاشياء المطلوبة الموجودة دائما على حالة واحدة وهو العلم
البرهاني الذي لا يتغير ولا يدخله الشك بوجه من الوجوه والفضايل التي بذواتها فضايل ليس يكون في حال من
الاحوال غير فضايل وكذلك العلوم بها **اما** الذكا فهو سرعة انقداح النتايج وسهولتها على النفس **واما** الذكر فهو ثبات
صورة ما يتخلصه العقل والوهم من الامور **واما** التعقل فهو موافقة محض النفس عن الاشياء الموجودة بقدر ما هي عليه
واما صفاء الذهن فهو استعداد النفس لاستخراج المطلوب **واما** جودة الذهن وقوته فهو تأمل النفس ما قد لزم من
المقدم **واما** سهولة التعلم فهو قوة النفس وحدة الفهم بها تدرك الامور النظرية **الفضايل** التي تحت العفة
الحياء الدعة الصبر السخاء الحرية القناعة الديانة الانتظام حسن الهدى المسالمة الوقار الورع **اما** الحياء فهو انصبار النفس
خوف اتيان القبايح والحذر من الذم والسب لاصقاف **واما** الدعة فهو سكون النفس عند حركة الشهوة **واما** الصبر
فهو مقاومة النفس للهوى لئلا ينقاد لقبايح اللذات **واما** السخاء فهو التوسط في الاعطاء والاخذ وهو ان ينفق
الاموال فيما ينبغي بمقدار ما ينبغي وعلى ما ينبغي وتحت السخا خاصة انواع كثيرة نحن نحصيها في ما بعد
لكثرة الحاجة اليها **واما** الحرية في فضيلة للنفس بها تكتسب المال من وجهه وتعطي في وجهه وتمتنع اكتساب المال
من غير وجهه **واما** القناعة فهي التأمل في المآكل والمشارب الزينة **واما** الديانة فهي حسن انقياد
النفس لما يجمل ويسرعها الى الجميل **واما** الانتظام فهي حال النفس يقودها الى حسن تقدير الامور وترتيبها كما ينبغي
واما حسن الهدى فهو محبة تكميل النفس بالزينة الحسنة **واما** المسالمة فهي مراعة تحصل النفس عن ملكة الاضطرار
فيها **واما** الوقار فهو سكون النفس وثباتها عند الحركات التي تكون في المطالب **واما** الورع فهو لزوم الاعمال الجميلة
التي فيها كمال النفس **الفضايل** التي تحت الشجاعة كبر النفس الجدة عظم الهمة الثبات الصبر الحلم عدم الطيش الشهامة
احتمال الكد الفرق بين هذا الصبر وبين الذي في العفة ان هذا يكون في الامور المهائلة وذاك يكون في الشهوات الخاصة
اما كبر النفس فهو الاستهانة باليسار والاقتدار على حمل الكرامة والهوان فصاحبه ابدا يحمل نفسه الامور
العظام مع استحقاقه لها **واما** الجدة فهو ثقة النفس عند المخاوف حتى لا تجزع منها ولا جزع **واما** عظم الهمة فهو فضيلة
للنفس تحمل بها سعادة الجد وضدها حتى الشدائد التي تكون عند الموت **واما** الثبات والصبر فهو فضيلة

للنفس يقوى بها احتمال الالام ومقاومتها وفى الاموال الخاصة **واما** الحلم فهو فضيلة للنفس تكسبها الطمانينة
ولا يكون شغبة ولا يتحرك الغضب بسهولة وسرعة **واما** السكون الذى نعنى به عدم الطيش فهو ما عند الخطوات
واما فى الحروب التى تذب بها عن الحريم او عن الشريعة وهو قوة للنفس تقهر حركتها فى هذه الاحوال لشدتها **واما** الشهامة
فهى الحرص على الاعمال العظام رفعا للاخروية الجميلة **واما** احتمال الكد فهو قوة للنفس تستعمل الات البدن فى
الامور الحسية بالتمرين وحسن العادة **الفضايل** التى تحت السخاء الكرم الايثار النيل المواساة المسامحة
المساعدة **اما** الكرم فهو انفاق المال الكثير بسهولة من النفس فى الامور الجليلة العدد الكثيرة المقع كما ينبغى وباقى الشروط
التى ذكرناها فى السخاء **واما** الايثار فهو فضيلة للنفس بها يكف الانسان عن بعض حاجاته التى يحصه حتى يبذله
لمن يحتفه **واما** النيل فهو سرور النفس بالافعال العظام وابتهاجها بلزوم هذه السيرة **واما** المواساة فى
معاونة الاصدقاء والمستحقين ومشاركتهم فى الاموال والاقوات **واما** المسامحة فى بذل بعض ما لا يجب
واما المساهلة فى ترك بعض ما يجب والجميع يكون بالارادة والاختيار **الفضايل** التى تحت العدالة
الصداقة الالفة صلة الرحم المكافاة حسن الشركة حسن القضاء التودد العبادة **اما** الصداقة فهى محبة صادقة يتهم
معها جميع اسباب الصديق وايثار وفعل الخيرات التى يمكن فعلها به **واما** الالفة فهى اتفاق الاراء وتحدث
عن التواصل فيعتقد معها التضافر على تدبير العيش **واما** صلة الرحم فى مشاركة ذوى القربى فى الخيرات التى تكون
فى الدنيا **واما** المكافاة فى مقابلة الاحسان بمثله او بزيادة عليه **واما** حسن الشركة فهو الاخذ والاعطاء
فى المعاملات على الاعتدال الموافق للجميع **واما** حسن القضاء فى مجازاة بلا من ولا ندم **واما**
التودد فهو طلب مودات الاكفاء واهل الفضل بحسن اللقاء والاعمال التى يستدعى المحبة منهم **واما**
العبادة فى تعظيم الله عز وجل وتمجيده وطاعته واكرام اوليائه من الملائكة والانبياء والائمة والعمل بما يحبه
الشريعة وتقوى الله عز وجل بكمل هذه الاشياء ويتمها **واذ** قد اقتصصنا الفضايل الاولى واقسامها وذكرنا
انواعها واجزاءها فقد عرفت الرذايل التى تضاد الفضايل لانه يفهم من كل واحدة من تلك
كلها ما يقابلها لان العلم بالاضداد واحد ولما كانت هذه الفضايل اوساطا بين اطراف وتلك
الاطراف هى الرذايل وجب ان يفهم منها وان اتسع لنا الزمان ذكرنا هاهنا ان وجود اسمايها فى هذا

الوقت متعذر وينبغي لن يفهم من قولنا ان كل فضيلة فهي وسط بين رذايل ما انا واصف ان الارض لما كانت على غاية البعد من السماء قيل انها وسط وبالجملة المركز من الدائرة هو على غاية البعد من المحيط واذا كان الشيء على غاية البعد من شيء اخر فهو من هذه الجهة على القطر فعلى هذا الوجه ينبغي ان يفهم معنى الوسط من الفضيلة اذ كانت بين رذايل بعدها منها اقصى البعد ولهذا اذ انحرفت الفضيلة عن موضعها الحاصر بها ادنى انحراف قربت من رذيلة ولم تسلم من التعيب فربما من تلك الرذيلة التي تميل اليها ولهذا صعب جدا وجود هذا الوسط ثم التمسك به بعد وجوده اصعب لذلك قالت الحكماء اصابة نقطة الهدف عسر من العدول عنها ويلزم الصواب بعد ذلك حتى لا يخطيها اعسر واصعب وذلك ان الاطراف التي تسمى رذايل من الافعال والاحوال والزمان وساير الجهات كثيرة جدا ولذلك دواعي الشر اكثر من دواعي الخير ويجب ان يطلب اوساط تلك الاطراف بحسب انسان انسان فاما ما يجب علينا نحن فهو ان نذكر حمل هذه الاوساط وقوانينها بحسب ما يليق بالصناعة لاعمل ما يجب على شخص شخص فان هذا غير ممكن فان النجار والصانع وسائر ارباب الصناعات انما يحصل في نفوسهم قوانين واصول فيعرف النجار صورة الباب والسرير والصانع يعرف صورة الخاتم والتاج على الاطلاق فاما اشخاص ما قام في نفسه فانما يستخرجها بتلك القوانين ولا يمكنه تعرف الاشخاص لانها بلا نهاية وذلك ان كل باب وخاتم انما يعمل بمقدار ما ينبغي وعلى قدر الحاجة وبحسب المادة والصناعة لا تتضمن الا معرفة الاصول فقط **واذ** قد ذكرنا ما عنينا الوسط في الاخلاق وما ينبغي ان يفهم منه فلنذكر هذه الاوساط ليفهم منها الاطراف التي هي رذايل **فنقول** وبالله التوفيق **واما** الحكمة فهي وسط بين السفه والبله واعني بالسفه ههنا استعمال القوة الفكرية فيما لا ينبغي وكما لا ينبغي وسواء القوم الجزئية واعني بالبله تعطيل هذه القوة واطراحها وليس ينبغي ان يفهم البله ههنا نقصان الخلقة بل ما ذكرناه من تعطيل القوة الفكرية بالارادة **واما** الذكاء فهو وسط بين الجمز والبلادة فان احد طرفي كل وسط فهو فرط والاخر تفريط اعني الزيادة عليه والنقصان منه فالجمز والدهاء والحيل الردية هي كلها الى جانب الزيادة مما ينبغي ان يكون الذكاء عليه **واما** البلادة والبله والعجز عن ادراك المعارف فهي كلها الى جانب النقصان من الذكاء **واما** الذكر فهو وسط بين النسيان الذي يكون باهمال ما ينبغي ان يحفظ وبين

بين العناية بما لا ينبغي ان يحفظ **واما** التعقل فهو حسن التصور فهو وسط بين الذهاب بالنظر في الشئ الموضوع الى اكثر مما هو عليه وبين القصور بالنظر عما هو عليه **واما** سرعة الفهم فهو وسط بين اختطاف خيال الشئ من غير احكام لفهمه وبين الابطاء عن حقيقته **واما** صفاء الذهن فهو وسط بين كدورة في النفس يتأخر بها عن استخراج المطلوب وبين التهاب يعرض فيها فيمنعها من استخراج المطلوب **واما** جودة الذهن وقوته فهو وسط بين الافراط في التأمل لما لزم من المقدم حتى يخرج عنه الى غيره وبين التفريط فيه حتى يقصر عنه **واما** سهولة التعلم فهو وسط بين المبادرة اليه بسلاسة لا تثبت معه صعوبة العلم وبين التصعب عليه وتعذره **واما** العفة فهو وسط بين رذيلتين وهما الشرة وخمود الشهوة واعني بالشرة الانهماك في اللذات والخروج عنها مما ينبغي واعني بخمود الشهوة السكون عن الحركة التي تسلك نحو اللذة الجميلة التي يحتاج اليها البدن في ضروراته وهي ما يرخص فيه الشريعة او العقل **واما الفضائل** التي تحت العفة فان الحياء وسط بين رذيلتين احدهما الوقاحة والاخرى الخرق وانت قادر على ان تلحظ اطراف الفضائل الاخر التي هي رذائل وربما وجدت لها اسماء بحسب اللغة وربما لم تجد لها اسماء وليس يعسر عليك فهم معانيها والسلوك فيها على السبيل التي سلكناها **واما** الشجاعة فهي وسط بين رذيلتين احدهما الجبن والاخر التهور اما الجبن فهو الخوف مما لا ينبغي ان يخاف منه واما التهور فهو الاقدام على ما لا ينبغي ان يقدم عليه **واما** السخاء فهو وسط بين رذيلتين احدهما التقتير والتبذير والاخرى البخل والتقتير اما التبذير فهو بذل ما لا ينبغي لمن لا يستحق واما التقتير فهو منع ما ينبغي ممن يستحق **واما** العدالة فهو وسط بين الظلم والانظلام اما الظلم فهو التوصل الى كثرة المقتنيات من حيث لا ينبغي وكما لا ينبغي واما الانظلام فهو الاستخذاء والاستهانة في المقتنيات لمن لا ينبغي وكما لا ينبغي ولذلك يكون ابدا الجائر اموال كثيرة لانه يتوصل اليها من حيث لا يجب ووجوه التوصل اليها كثيرة واما المنظلم فمقتنياته واموله يسيرة جدا لانه يتركها من حيث يجب واما العادل فهو وسط بينهما لانه يقتني الاموال من حيث يجب ويتركها من حيث لا يجب فالعدالة فضيلة يتصف بها الانسان من نفسه ومن غيره ومن غير ان يعطي نفسه من النافع اكثر وغيره اقل فاما في الضار فبالعكس وهو ان لا يعطي نفسه اقل وغيره اكثر لكن يستعمل المساواة التي هي تناسب ما بين الاشياء

ومن هذا المعنى استوى اسمها اعنى العدل واما الجائر فهو الذى يطلب لنفسه الزيادة من النافع ولغيره النقصان منه واما فى الاشياء الضارة فانه يطلب لنفسه النقصان ولغيره الزيادة منها فقد ذكرنا الاخلاق التى هى خيرات وفضايل و اطرافها التى هى شرور ورذايل على طريق الاجمال وحددنا ما يحمد منها وسمينا ما يرسم ونشرح كل واحد منها على سبيل الاستقصاء فيما بعد انشاء الله وينبغى ان نلخص فى هذا الموضع شكرا بالحق طالب هذه الفضايل **فنقول** انا قد بينا فيما تقدم ان الانسان من بين جميع الحيوان لا يكتفى بنفسه فى تحميل فائدة ولا بد له من معاونة قوم كثيرى العدد حتى يتم حياته طيبة ويجرى امره على السداد ولهذا قال الحكماء ان الانسان مدنى بالطبع اى هو محتاج الى مدينة فيها خلق كثير ليتم له السعادة الانسانية فكل انسان بالطبع وبالضرورة يحتاج الى غيره فلذلك مضطر الى مصافاة الناس ومعاشرتهم العشرة الجميلة ومحبتهم المحبة الصادقة لانهم يكملون ذاته ويتممون انسانيته وهو ايضا يفعل لهم مثل ذلك فاذا كان كذلك بالطبع وبالضرورة فكيف يؤثر الانسان العاقل العارف بنفسه التفرد والتخلى ويعاطى ما يرى الفضيلة من غيره فاذن القوم الذين راموا الفضيلة فى الزهد وتركوا مخالطة الناس و تفردوا عنهم اما بملازمة المغارات فى الجبال واما ببناء الصوامع فى الفلوات واما بالسياحة فى البلدان لا يحصل لهم شئ من الفضايل بل الانسانية التى عددناها وذلك ان من لم يخالط الناس وليس كائنا فى المدن لا يظهر فيهم العفة ولا النجدة ولا السخاء ولا العدالة بل تصير قواهم وملكاتهم التى ركبت فيهم باطلة لانها لا تتوجه الا الى خير لا شر فاذا بطلت ولم يظهر افعالها الخاصة بها صار بمنزلة الجمادات والموتى من الناس وذلك انهم يظنون ويظن بهم انهم اعفاء وليسوا بالعفاء وانهم عدول وليسوا بعدول وكذلك فى سائر الفضايل بل اعنى فى اضداد هذه التى هى شرور ظن بهم الناس انهم افاضل وليست الفضايل بل اعداما بل هى افعال واعمال يظهر عنها مشاهير الناس ومساكينهم فى معاملات وضروب الاجتماعات ونحن انما نطلب بتعليم الفضايل الانسانية التى ليس كمن بها الناس و يخالطهم لنصل منها وبها الى سعادات اخر اذا صرنا الى حال اخرى وتلك الحال غير موجودة لنا الان

المقالة الاولى من كتاب تهذيب الاخلاق

الخلق حال للنفس داعية لها الى افعالها من غير فكر ولا روية وهذه الحال تنقسم قسمين **منها** ما يكون طبيعيا من اصل المزاج كالانسان الذى يحركه ادنى شئ نحو الغضب ويهيج من اقل سبب وكالانسان الذى يجبن من ايسر شئ وكالذى يفزع من صوت

صوت يطرق سمعه ويرتاع من غير سمعه وكالذى يضحك ضحكا مفرطا من اجل شئ يعجبه وكالذى يغتم ويحزن من
ايسير شئ يناله ومنها ما يكون مستفادا بالعادة والدربة وربما كان مبدأه بالروية والفكر ثم يستمر عليه اولا فاولا
حتى يصير ملكة وخلقا ولهذا اختلف القدماء فى الخلق فقال بعضهم الخلق خاص بالنفس غير الناطقة وقال بعضهم
قد يكون للنفس الناطقة فيها حظ ثم اختلف الناس اختلافا ثانيا فقال بعضهم من كان له خلق طبعى لم ينتقل عنه و
قال اخرون ليس شئ من الاخلاق طبعيا للانسان ولا غير طبعى لم وذلك انا مطبوعون على قبول الخلق وانما ينتقل
بالتاديب الوعظ اما سريعا واما بطيئا وهذا الراى الاخير هو الذى نختاره لانا نشاهده عيانا ولان الراى
الاول يؤدى الى ابطال قوة التميز والعقل والى افضل السياسات كلها وترك الناس هجا هملين والى ترك الاحداث والصبيان
على ما يتفق ان يكونوا عليه بغير سياسة ولا تعليم وهذا ظاهر الشناعة جدا واما الرواقيون فظنوا ان الناس كلهم يخلقون
اخيارا بالطبع ثم يصيرون بعد اشرارا بمجالسة اهل الشر بالميل الى الشهوات الردية التى لا تقمع بالتاديب فينهمك
فيها ثم تتصل بها من كل وجه ولا يفكر فى الحسن منها والقبيح واما قوم اخرون كانوا قبل هؤلاء فانهم ظنوا ان الناس خلقوا
من الطينة السفلية وهى كدر العالم فهم لاجل ذلك اشرار بالطبع وانما يصيرون اخيارا بالتاديب والتعليم الا ان
فيهم من هو فى غاية الشر فيمكن ان ينتقل من الشر الى الخير بالتاديب من الصبى ثم بمجالسة الاخيار واهل الفضل فاما
جالينوس فانه راى ان الناس فيهم من هو خير بالطبع وفيهم من هو شرير بالطبع وفيهم من هو متوسط بين هذين ثم افسد
المذهبين الاولين الذين ذكرناهما اما الاول بان قال ان الناس اخيار بالطبع وانما ينتقلون الى الشر بالتعليم فمن الضرورة
ان يكون تعلم الشر اما من انفسهم واما من غيرهم وان يعلموه من غيرهم فان المعلمين الذين علموهم الشر هم اشرار بالطبع
فليس الناس اذن كلهم اخيارا بالطبع وان كانوا يعلمون من انفسهم واما ان يكون فيهم قوة يشتاقون بها الى الشر فقط فهم اذن اشرار
بالطبع واما ان يكون فيهم مع هذه القوة التى تشتاق الى الشر قوة اخرى تشتاق الى الخير لان القوة التى تشتاق الى الشر غالبة
من التى تشتاق الى الخير وعلى هذا يكونون ايضا اشرارا بالطبع واما الراى الثانى فانه افسده بمثل هذه الحجة وذلك انه
ان كان كل الناس اشرارا بالطبع فاما ان يكونوا يعلمون الخير من غيرهم او من انفسهم ونعيد الكلام الاول بعينه ولما افسد هذين
المذهبين صحح راى نفسه من الامور البينة الظاهرة وذلك انه ظاهر جدا ان الناس منهم خير بالطبع وهم قليلون ليس
تنتقل هؤلاء الى الشر ومنهم من هو شرير بالطبع وهم كثيرون وليس تنتقل هؤلاء الى الخير ومنهم من هو متوسط

بين هذه وهولاء قد ينقلون بمصاحبة الاخيار ومواعظهم الى الخير وقد ينقلون بمفارقة اهل الشر واعراضهم الى الشر
واما ارسطاطاليس فقد بين في كتاب الاخلاق وفي كتاب المقولات ايضا ان الشرير قد ينتقل بالتاديب الى الخير
ولكن ليس على الاطلاق الا انه يرى ان تكرير المواعظ والتاديب واخذ الناس بالسياسة الجيدة الفاضلة لابد
ان يوثر اضرب الناس في ضرب الناس فمنهم من يقبل التاديب ويتحرك الى الفضيلة بسرعة ومنهم من يقبله
يتحرك الى الفضيلة ببطاء ونحن نوليف من ذلك قياسا وهو هذا كل خلق فقد يمكن تغييره ولا شئ مما يمكن تغييره هو
بالطبع فاذا لا خلق واحد بالطبع والمقدمتان صحيحتان والقياس ينتج في الضرب الثاني من الشكل الاول اما تصحيح
المقدمة الاولى وهي ان كل خلق يمكن تغييره فقد تكلمنا عليه فاوضحناه وبيناه وهو بين من العيان ومما استدل به
من وجوب التاديب ونفعه وتاثيره في الاحداث والصبيان ومن الشرائع الصناعة التي هي سياسة الله عز وجل لخلقه
واما تصحيح المقدمة الثانية وهي انه ولا شئ مما يمكن تغييره هو بالطبع فهو ظاهر ايضا وذلك انا لا نرى ان تغير شئ
مما هو بالطبع ابدا فان احدا لا يرى ان تعبير حركة النار التي الى فوق بان يعودها الحركة الى اسفل ولا يعود الحجر حركته
العلوية ولا يرى بذلك ان يغير حركته الطبيعية التي هي الى اسفل ولو رامه ما صح له ابدا تغير شئ من هذا ولا يجري
مجراه اعني الامور التي هي بالطبع فقد صحت المقدمتان وصح التاليف في الشكل الاول وهو الضرب الثاني منه
وصار برهانا **فاما** مراتب الناس في قبول هذا الادب الذي سميناه خلقا والمسارعة الى قبوله والحرص عليه فانها
كثيرة وهو يشاهد ويعاين فيهم وخاصة في الاطفال فان اخلاقهم يظهر فيهم مثل ابداء نشوء بهم ولا يستر نخاوية
وفكر كما يفعله الرجل التام الذي استقى في نشوئه وكماله الى حيث يعرف من نفسه ما يستقبح فيخفيه ويضرب الجهل والافعال
المضادة لما في طبعه وانت تتامل من اخلاق الصبيان واستعداد هو لقبول الادب ونفورهم عنه وما يظهر في بعضهم
من الوقاحة وفي بعضهم من الحياء ولذلك ما يرى فيهم من الجود والبخل والرحمة والقسوة والحسد وضده ومن الاحوال
المتفاوتة ما يعرف به مراتب الانسان في قبول الاخلاق الفاضلة ويعلم معه انهم ليسوا على رتبة واحدة وان منهم
المواتي والممتنع والسهل السلس والفظ العسر والخير والشرير والمتوسطين بين هذه الاطراف في مراتب لا تحصى كثرة
واذا اهملت الطبائع ولم ترض بالتاديب والتقويم لم تنشا كل انسان على سوء طباعه وبقي عمره كله على الحال
التي كان عليها في الطفولية وتبع ما وافقه بالطبع اما الغضب واما اللذة واما الاعارة واما الشرة واما غير ذلك

ذلك من الطباع المذمومة والشريفة هي التي تقوم الاحداث ويقوم بها الافعال المرضية وتتعدد قوسهم لقبول الحكمة وطلب الفضايل والبلوغ الى السعادة الانسية بالفكر الصحيح والقياس المستقيم وعلى الوالدين اخذهم به وبسائر الاداب الجميلة بضروب لسياسات من الضرب ان احوجوا اليه او الزجر بالتي هي احسن ان اغنت فيهم او الاطماع في الكرامات او غيرها مما يميلون اليه من الراحات ليحذرونه من العقوبات حتى اذا تقوموا ذلك واستمروا عليه مدة من الزمان كثيرة طويلة امكن فيهم حينئذ ان يعلموا براهين ما اخذوه تقليدا وبنهوا على طرق الفضايل واكتسابها والبلوغ الى غاياتها بهذه الصناعة التي نحن بسبيلها والله الموفق والمعين وهو حسبنا ونعم الانسان في ترتيب هذه الادب واسيافها اولا اولا الى الكمال الاخير طريق طبيعي يتشبه فيها بفعل الطبيعة وهو ان ينظر الى هذه القوى التي تحدث فينا ايها اسبق الينا وجودا فيبدا بتقويمها اثر كاملها على النظام الطبيعي وهو بين ظاهر وذلك ان اول ما يحدث فينا هو الشيء العام للحيوان والنبات كله ثم لا يزال يخص بشيء يسير يتميز به عن نوع نوع الى ان يصير الى الانسانية فلذلك يجب ان نبدء بالشوق الذي يحصل فينا للغذاء فنقومه ثم بالشوق الذي يحصل فينا الى التغلب ثم الكرامة فيقومه ثم باخره الشوق الذي فينا الى المعارف والعلوم فيقومه وهذا الترتيب الذي قلنا انه طبيعي انما حكمنا فيه بذلك لما يظهر فينا منذ اول نشوئنا اعني ان يكون اولا جنة ثم اطفالا ثم ناشئا كاملين ويحدث فينا هذه القوى مرتبة فاما ان هذه الصناعة هي افضل الصناعات كلها اعني صناعة الاخلاق التي تفعل بها افعال الانسان بما هو انسان فتبين مما اقول لما كان الجوهر الانساني فعل خاص لا يشاركه فيه شيء من موجودات العالم كما بيناه فيما تقدم وكان الانسان اشرف موجودات عالمنا ثم يصدر افعاله عنه بحسب جوهره وشبهناه بالفرس اذا لم يصدر عنه افعال الفرس على التمام استعمل مكان الحمار بالاكاف ومكان الغنم بالذبح وكان على هذا روح من جنة وحسبه ان يكون الصناعة التي تعنى بتجويد افعال الانسان حتى تصدر عنه افعاله كلها تامة كاملة بحسب جوهره وترفعه عن رتبة الاخس التي يستحق بها الملعنة من الله عز وجل والحصول في العذاب الاليم اشرف الفضائل كلها واكرمها واما سائر الصناعات الاخر فرتبتها من الشرف بحسب ما يتجوهر الشيء الذي يستصلح وهذا ظاهر جدا من تصفح الصناعات لان فيها الدباغة التي تعنى باستصلاح جلود الحيوانات الميتة وفيها صناعة الطب التي تعنى باستصلاح الجواهر الشريفة الكريمة وهكذا الحكم المتفاوتة التي تصرف بعضها الى العلوم الدنية وبعضها الى العلوم الشريفة واذا كانت

الموجودات متفاوتة في الشرف في الجماد والنبات والحيوان اما في الحيوان فكجوهر الميدان والحشيات اذا قيس الى جوهر
الانسان واما في الجواهر الموجودات الاشرف فظاهر فمن اراد ان يحصيها فالصناعة والهمة التي يصرف الى اشرفها اشرف
من الصناعات والهمم التي تصرف الى الادون منها ويجب ان نعلم ان اسد الانسان وان كان يقع على افضلهم وعلى
ادونهم فان بين هذين الطرفين اكثر مما بين كل متضادين من البعد وان الشاعر الذي قال ولم ار امثال
الرجال تفاوت * الى المجد حتى عد الف بواحد * وان كان عنده قد بالغ فانه قصر والخبر المروي عن النبي صلى الله
عليه واله وسلم ان ونست بامتي وبحجت بنيهم اصدق واوضح وليس هذا في الانسان وحده بل في كثير من الجواهر الا
وان كان في الانسان اكثر اشد تفاوتا فان بين السيف المعروف بالصمصام وبين السيف المعروف بالهكام
تفاوتا عظيما وكذلك الحال في التفاوت الذي بين الفرس الكريم وبين البرذون المقرف فمن امكنه
ان يرقى بالصناعة من ادون هذه الجواهر مرتبة الى اعلاها فاشرف به وبصناعته ما اكرمه واكرمها فالانسان
من بين هذه الجواهر فهو مستعد لضروب من الاستعدادات بضروب من المقامات فليس ينبغي ان يكون الطمع في
استصلاحه على مرتبة واحدة وهذا شيء يتبين فيما بعد انشاء الله الا ان الذي ينبغي ان نعلمه الان ان وجود الجواهر
الانسانية متعلق بقدرة فاعله وخالقه تبارك وتقدس ذكره واما تجويد جوهره فمفوض الى الانسان وهو معلق
بارادته فاعرف هذه الجملة الى ان نلخص في موضعها انشاء الله تعالى **وقد** تقدمنا في صدر هذا الكتاب فقلنا انه ينبغي
ان نعرف نفوسنا ما هي ولاي شيء هي ثم قلنا ان لكل جوهر موجود كمالا خاصا به وفعلا لا يشاركه فيه غيره من حيث
هو ذلك الشيء وبيان ذلك غاية البيان في الرسالة المسعدة **واذا** كان ذلك محفوظا فمن مضطرون الى ان
نعرف الكمال بالانسان والفعل الذي لا يشاركه فيه غيره من حيث هو انسان فنحرص على طلبه وتحصيله ونجتهد
في البلوغ الى غايته ونهايته ولما كان الانسان مركبا لم يجز ان يكون كماله وفعله الخاص به كمال بساطته وافعاله الخاصة
بها والا كان وجود المركب باطلا كالحال في الخاتم والسرير فانه فعل خاص به من حيث انه هو مركب لا يشاركه فيه
شيء من الموجودات الاخر فمن افضل الناس اقدرهم على اظهار فعله الخاص به والمتمم له من غير ان يكون فيه ولا اخلال بشيء
دون وقت فاذا عرف الافضل فقد عرف الانقص على اعتبار الضد فكمال الخاص بالانسان كمالان وذلك لانه
قوتين احديهما العالمة والاخرى العاملة فلذلك ينشأ وباحدى القوتين الى المعارف والعلوم وينشأ في الاخرى

بالاخرى الى نظم الامور وترتيبها وهذان الكمالان هما اللذان نص عليهما الفلاسفة فقالوا الفلسفة تنقسم الى الجزء النظري والى الجزء العملي فاذا كمل الانسان بالجزء النظري والجزء العملي فقد بلغ السعادة التامة اما كماله الاول بالحد الذي قوته هي العالمة وهي التي يشتاق بها الى العلم فهو ان يصير في العلم بحيث يصدق نظره ويصح بصيرته ويستقيم رويته ولا يغلط في اعتقاد ولا يشك في حقيقته وينتهي في العلم بالامور الموجودة على الترتيب الى العلم الالهي الذي اخر مرتبة العلوم وشريفها وليسكن اليه ويطمئن قلبه ويذهب حيرته ويحل له المطلوب الاخير حتى يحدث به وهذا الكمال قد بينا الطريق اليه واوضحناه في كتب اخر واما الكمال الثاني الذي يكون له بالقوة الاخرى اعني القوة العاملة فهو الذي نقصده في كتابنا هذا وهو الكمال الخلقي ومبداه من ترتيب قواه وافعاله الخاصة بها حتى لا يتغالب وحتى يتسالم هذه القوى فيه ويصدر افعاله بحسب قوة المميزة منتظما مرتبا كما ينبغي ويبقى الى التدبير المدني الذي يرتب فيه الافعال والقوى بين الناس حتى ينتظم ذلك الانتظام ويسعدوا سعادة مشتركة كما كان ذلك في الشخص الواحد فاذن الكمال الاول النظري منزلته منزلة الصحة والكمال الذي الثاني العملي منزلته منزلة المادة وليس يتم احدهما الا بالاخر لان العلم مبدأ العمل تماما والمبدأ بالاتمام يكون ايضا بعد التمام بالامر فيكون مستحيلا وهذا الكمال هو الذي سميناه عرضا وذلك ان العرض والكمال بالذات هما شيء واحد انما يختلفان بالاضافة فاذا نظر اليه وهو بعد في نفس الانسان ولم يخرج الى الفعل فهو عرض واذا خرج الى الفعل وتم فهو كمال وكذلك الحال في كل شيء لان البيت اذا كان متصورا للبناني وكان عالما باجزائه وتركيبه وسائر احواله كان عرضا فاذا خرج الى الفعل وتم كان كمالا فقد صح مجموع ما قدمناه ان الانسان يصير الى كماله ويصدر عنه فعله الخاص اذا علم الموجودات كلها اي يعلم كلياتها وحدودها التي هي حقائقها لا اعراضها وخواصها التي يصيرها بلا نهاية فانك اذا علمت كليات الموجودات فقد علمت جزئياتها نحو الان الجزئيات لا يخرج عن كلياتها فاذا اكملت هذا الكمال فتممه بالفعل المنظوم ورتب القوى والملكات التي فيك ترتيبا عمليا كما سنتوعلك به فاذا انتهت الى هذه الرتبة فقد صرت عالما وعلمك واعتقدت ان ليس شيء عالما اصغر الان صورة الموجودات كلها قد حصلت في ذاتك فصرت انت هي نحو ما ثم نظمتها بافعالك على نحو ما نظمت فصرت فيها خليفة لملك وخالق الكل فلم تخطئ فيها ولم تخرج عن نظامه الاول الحكمي فصيرتك عالما تاما وانسانا مرتاضا بالموجودات هو الدائم الوجود والدائم الوجود هو الباقي بقاء سرمديا فلا يفوتك حينئذ شيء من الخير العظيم

لانك بهذا الكمال مستعد لقبول الفيض من المولى دائما ابدا وقد قربت منه القرب الذى لا يجوز ان يحول
بينك وبينه حجاب وهذه هى الرتبة العليا والسعادة القصوى فلو لا ان الشخص الواحد لا يتخاص الناس يمكنه تحصيل
هذه المنزلة فى ذاته وتكميل صورته بها واتمام نقصانه بالتشبه الى الله بسبيله سبيل اشخاص الحيوانات الاخر وكسبيل اشخاص النبات
فى مصيرها الى الفنا بالاستحالات التى تلحقها والنقصانات التى لا سبيل الى تمامها ولا استحالة فيه البقاء الابدى والنعيم السرمدى
بجاورة رب العالمين ودخول جنته ومن لا يحصل هذه الحالة فلا يشقى الى علمها من متوسطين فى العلم يقع الاشكال
فيظن الانسان اذا انتقض تركيبه الجسمانى باطل وذلا شئ كالحال فى الحيوانات والنبات ويستحيل الاعادة
ويخرج عن سمة الحكمة وسنة الشريعة وقد ظن قوم ان كمال الانسان وغايته هما فى اللذات الحسية وانها هى الخير
المطلوب والسعادة القصوى فظنوا ان جميع قواه الاخر انما ركبت فيه من اجل هذه اللذات والتوصل اليها وان النفس الشريفة التى
سميناها ناطقة انما وهبت له ليترتب بها الافعال ويميزها ليترجح بها نحو هذه اللذات ليكون الغاية الاخيرة هى حصولها على
النهاية والغاية فظنوا ان قوى النفس الناطقة اعنى الذكر والحفظ والروية كلما ازداد لتلك الغاية قالوا وذلك ان الانسان اذا تذكر
اللذة التى كانت حصلت له بالمطاعم والمشارب والمناكح اشتاق اليها لمحبوبتها فقد صارت منفعة الذكر والحفظ
انما هى اللذة وتحصيلها لاجل هذه الظنون التى وقعت لهم جعلوا النفس المميزة الشريفة كالعبد المنهمك كالاجير المستعمل فى خلق
النفس الاخرى الشهوية ليخدمها فى المآكل والمشارب والمناكح وترتيبها لها وتعدادها اعدادا كاملا موافقا وهذا هو رأى الجمهور
من العالم رعاع وجهال الناس السقاط وانى هذه الخيرات التى جعلوها غاياتهم تشوقوا عند ذكر الجنة والقرب من بارئهم عز وجل
وهى التى ليسئلوها الرب تبارك وتعالى فى دعواتهم وصلواتهم واذا خلوا بالعبادات وتركوا الدنيا وزهدوا فيها فانما ذلك
منهم على جهة المتاجرة والمرابحة فى هذه بعينها كما تقدم ذكرها قليلها ليصلوا الى كثيرها واعرضوا عن الفانيات منها ليبلغوا
الباقيات الا انك تجدهم مع هذا الاعتقاد وهذه الافعال اذا ذكر عندهم الملائكة والخلوة الاعلى لا تشرف وما نزههم الله
عنه من هذه المقاذر واعلموا بالجملة انهم اقرب الى الله عز وجل واعلى رتبة من الناس وانهم غير محتاجين الى شئ من حاجات
البشر بل يعلمون ان خالقهم وخالق كل شئ تعالى الذى تولى ابداع الكل هو منزه عن هذه الاشياء متعال عنها غير متصف
باللذة والتمتع مع التمكن باتخاذها لنفسه وان الناس يشاركونه فى هذه اللذات الخاصة فى اليدين وصغار الحشرات القبيح
من الحيوان بل ونحن اسبق الملائكة بالعقل والتميز ثم يجعلون بهذه الاعتقاد والاعتقاد الاول هذا هو العجب العجيب وذلك

ذلك الفريق من عيانا ضرورتهم بالاذى الذى يلحقهم بالجوع والعرى وضرب النقصانات وحاجاتهم الى مداواتها
بما يدفعها عنهم فاذا زالت اثارها وعاد والى حال السلامة منها التذوا بذلك ووجدوا اللذة ولا يشعرون
انهم اذا اشتاقوا الى لذة الاكل فقد اشتاقوا اولا الى الم الجوع وذلك انهم لم يالموا بالجوع ثم يلتذوا بالاكل وهكذا
الحال فى سائر اللذات الاخر الا ان هذه الحال فى بعضها اظهر منها فى بعض وسنتكلم على ان صورة الجميع واحدة وان
اللذات كلها انما يحصل للملتذ بعد الالم تلحقه وان كل لذة حسية انما هى خلاص من الم واذى فى غير هذا الموضع و
ستظهر عند ذلك ان من رضى لنفسه بتحصيل اللذات البدنية وجعلها غايته واقصى سعادته فقد رضى باخس العبيد واحسر
الموالى لانه تصير نفسه الكريمة التى يناسب بها الملائكة عبد النفس الدنية التى يناسب بها الخنازير والحنافس وخسائس الحيوانات
التى يشاركه فى هذه الحال وقد تعجب جالينوس فى كتابه الذى سماه باخلاق النفس من هذا الراى واكثر استبعادا
للقوم الذين هذه مرتبتهم من العقل الا انه قال ان هؤلاء الخبثاء الذين سيرقراطيس وارضوها اذا وجدوا الشاذ
هذا رائه ومذهبه نصروه وتوهموا بهود عليه لانهم يوذون بذلك انهم غير متفردين بهذه الطريقة لانهم يظنون انهم متى
وصفوا اهل الفضل والنبل من الناس بمثل ما هم عليه كان ذلك عذرا لهم وتمويها على قوم اخرين فى مثل طريقتهم
هؤلاء هم الذين يفسدون الاحداث بايمانهم ان الفضيلة هى ما تدعو هيولية طبيعة البدن من الملاذ وان تلك
الفضايل الاخر الملكية اما ان يكون باطلة ليس لشئ البتة واما ان يكون غير ممكنة لاحد من الناس والناس انما يكونون
بالطبع الجسدانى الى الشهوات فيكثر اتباعهم ويقل الفضلاء فيهم واذا نبه الواحد بعد الواحد منهم على ان هذه اللذات
انما هى لضرورة الجسد وان بدنه مركب من الطباع المتضادة اعنى الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة وانه
انما يعالج بالمآكل والمشارب امراضا يحدث ابدا عند الاخلال فيحفظ تركيبه به على حالة واحدة ما امكن ذلك
فيه وان علاج المرض ليس بسعادة تامة والراحة من الالم ليست بغاية مطلقة ولا خير محض وان السعيد التام
هو من لا يعرض له مرض البتة وعرف مع ذلك ان الملائكة الابرار الذين اصطفاهم الله لقربه لا يلحقهم هذه
الالام فلا يحتاجون الى مداواتها بالاكل والشرب وان الله تعالى منزه متعال عن هذه الاوصاف عارضها بان بعض البشر
اشرف من الملائكة وان الله اجل من ان يذكر مع الخلق وشاغبوه بسفهوا رائه واوقعوا له شبها باطلة حتى يشك فى صحة
ما اثبته عليه وارشده عقله اليه والعجب الذى لا ينقضى هو انهم مع ما اتهموا هذا اذا وجدوا واحدا من الناس

قد ترك طريقهم التي يميلون اليها واستهان بالتمتع واللذة وصام وطوى واقتصر على نبات الارض عظموه وكثر تعجبهم منه واهلوه للمراتب العظيمة وزعموا انه صفي الله وخليله وانه شبيه بالملك وانه ارفع طبقة من البشر ويخضعون له ويذلون غاية الذل ويعدون انفسهم اشقياء بالاضافة اليه والسبب في ذلك هو انهم وان كانوا من افن الراى وسفاقة على ما ترى فان فيهم من تلك القوة الاخرى الكريمة المميزة وان كانت ضعيفة فانها رجيم فضيلة ذوى الفضائل فيضطرون الى اكرامهم وتعظيمهم واذا كانت القوى ثلثا كما ملنا مرارا فاذ ونها النفس البهيمية واوسطها النفس السبعية واشرفها النفس الناطقة والانسان انما صار انسانا بافضل هذه النفوس اعنى الناطقة وبها شارك الملائكة وبها باين البهائم فشرف الناس من كان حظه من هذا النفس اكثر وانصرافه اليها اتم واوفر ومن غلب عليه احدى النفسين الاخرين انحط عن مرتبة الانسانية بحسب غلبة تلك النفس عليه فانظر اين يضع نفسك واين يجب ان تنزل من المنازل التي رتبها الله للموجودات فان هذا امر موكول اليك مردود الى اختيارك فان شئت فانزل في منازل البهائم فانك تكون فيهم وان شئت فانزل في منازل السباع وان شئت فمنى منازل الملائكة وكن منهم وفي كل واحد من هذه المنازل مقامات كثيرة فان بعض البهائم اشرف من بعض وذلك لقبول التاديب لان الفرس انما شرف على الحمار لقبوله الادب وكذلك الباري في فضله على الغراب واذا تاملت الحيوان كله وجد القابل للتاديب الذي هو اثر النطق اعني العقل الناقص افضل من سايره وهو يتدرج في ذلك الى ان يصير الى الحيوان الذي هو فوق الانسان اعني الذي هو اكمل البهائم وهو في اخس مرتبة الانسانية وذلك ان اخس الناس هو من كان قليل العقل قريبا من البهيمة وهم القوم الذين في اقاصي الارض المعمورة وسكان اخر ناحية الجنوب والشمال لا يفضلون عن القرود الا بشيء يسير من التميز وبذلك القدر يستحقون اسم الانسانية ثم يتزايدون في التميز ويتزايدون في هذا المعنى حتى يبلغوا الى وسط الامر فيتم ويعتدل فيهم المزاج القابل بصورة العقل فيصيرون هم العاقل التام والمميز العالم ويتفاضلون ايضا في هذا المعنى الى ان يصيروا الى غاية ما يمكن الانسان ان يبلغ اليه من قبول قوة العقل والنطق فيصيرون حينئذ في الافق الذي بين الانسان والملك ويصير فيهم القابل للوحي والمطيق لحمل الحكمة فيفيض عليهم قواه العقل ويسبح اليه من الحق ولا حالة الانسان اعلى من هذه ما دام انسانا ثم ارجع القهقرى الى النظر في الاقل الناقصة التي هي ادون مراتب الانسانية فانك تجد القوم الذين يضعف فيهم القوة الناطقة وهم القوم الذين ذكرنا انهم في افق البهائم يقوى فيهم النفس البهيمية فيميلون الى شهواتها الماخوذة بالحواس كالمآكول والمشروب والملبوس

وسايرالحيوانات البهيمية الشبهية بها وهي هؤلاء الذين نجد بهم الشهوات القوية لقوة نفوسهم البهيمية حين يرتكبوها
ولا يرتدعوا عنها وبقدر ما يكون فيهم من القوة العاقلة يستحيون منها حتى يستتروا بالبيوت ويتواروا في الظلمات اذ هي ملذة
يخصهم وهذا الحياء منها هو الدليل على قبحها فان الجميل الاطلاق هو الشئ الذي يتظاهر به ويستحب اخراجه واذاعته
وبهذا القبح ليس بشئ من النقصانات اللازمة للبشر وهم يشتاقون الى ازالتها فافهمها هو نقصها وانقصها احوجها الى
الستر والدفن ولو سئلت القوم الذين يعظمون امر اللذة ويجعلونها الخير المطلوب والغاية الانسانية لم تكتموا
الوصول الى اعظم الخيرات عندكم وما بالكم تعدون مواقعها خيرا ثم تستترون بها وترون سترها وكتمانها فضيلة
ومروة وانسانية والمجاهرة بها واظهارها بين اهل الفضل وفي مجامع الناس خساسة ورقعة يظهر من انقطاعهم
وتبلدهم في الجواب ما تعلم به سوء مذهبهم وخبث سيرتهم واقل حظ من الانسانية اذا راى انسانا فاضلا احتشم
ووقره واحب ان يكون مثله الا الشاذ منهم الذي يبلغ من خساسة الطبع وتزارة الانسانية ومقاحة الوجه
الى ان يقيم على نضرة ما هو عليه من غير محبة لرتبة من هو افضل منه فاذا يجب على العاقل الى ان يفرغ ما ابتلي به
الانسان من هذه النقصانات التي في جسمه وحاجاته الضرورية الى ازالتها وتحيلها اما بالغذاء الذي يحفظ اعتدال
مزاجه وقوام حياته فينال منه قدر الضرورة في كماله ولا يطلب اللذة بعينها بل قوام الحيوة التي تتبعها اللذة فان تجاوز
ذلك قليلا فقد ما يحفظ رتبته في مروته ولا ينسب الى الدناءة والبخل بحسب حاله ومرتبته بين الناس واما باللباس الذي
يدفع اذى الحر والبرد وليستر العورة فان تجاوز ذلك فقد ما لا يستحق ولا ينسب الى الشح على نفسه والى ان يسقط بين
اقرانه واهل طبقته واما بالجماع الذي يحفظ نوعه ويقي به صورته اعني ظل النسل فان تجاوز ذلك فقد ما لا يخرج
به عن السنة ولا يتعدى ما يملكه الى ما يملك غيره ثم يلتمس الفضيلة في نفسه العاقلة التي بها صار انسانا وينظر
الى النقصانات التي في هذه النفس خاصة فيروم تكميلها بطاقته وجهده فان هذه الخيرات هي التي لا تسترد
اذا وصل اليها لا يمتنع منها بالحياء ولا يتوارى عنها بالحيطان والظلمات ويتظاهر بها بين الناس وفي المحافل
وهي التي يكون بعض الناس افضل من بعض وبعضهم اكثر انسانية من بعض ويغذو هذه النفس بغذائها الموافق
لها المتمم لنقصاناتها كما يغذو تلك باغذيتها الملائمة لها فان غذاء هذه هو العلم والزيادة في المعقولات والايثار
بالصدق في الاراء وقبول الحق حيث كان ومع من كان من النفور من الباطل والكذب كيف كان ومن اين جاء

فمن يفوق له في الصبيان يرتب على الآداب الشرعية ويوخذ بوظائفها وشرايطها حتى يتعوّدها ثم ينظر بعد ذلك في كتب الاخلاق
حتى يتأكد ذلك الآداب والمحاسن في نفسه بالبراهين ثم ينظر في الحساب والهندسة حتى يتعود صدق القول وصحة البرهان
ولا يسكن الا اليها ثم يتدرج كما رسمناه في كتاب الموسوم بترتيب السعادات ومنازل العلوم حتى يبلغ الى اقصى مرتبة الانسان
فهو السعيد الكامل فليكثر حمد الله عز وجل على الموهبة العظيمة والمنة الجسيمة ومن لم يتفق له ذلك في مبدء نشوه وترتيبه
بان يربيه والده على رواية الشعر الفاحش وقبول ما كاذبه واستحسان ما يوجد فيه من ذكر القبائح ونيل اللذات كما
يوجد في شعراء القيس والنابغة واشباههما ثم صار بعد ذلك الى رؤساء يقربونه على رواياتها وقبول مثلها ويجزلون العطية
والفخر باقران يساعدونه على تناول اللذات الجسمانية ومال طبعه الى استكثار من المطاعم والمشارب والمراكب والزينة والتباهي
الخيل الفرة والعبيد الروقة كما اتفق لي مثل ذلك في بعض الاوقات ثم انهمك فيها واشتغل بها عن التعاده يالى اهل لها
فليعتد جميع ذلك شقاء لا سيما خسرانا لاعمار والتجهد على التدريج الى فطام نفسه منها وما اصعب ذلك الا انه على حال خير من
التمادي في الباطل **وليعلم الناظر** في هذا الكتاب انه خاصة فقد تدرجت الى فطامي نفسي عن الكبر باستحكام العادة في
جهاد عظيما **وضعفت** لك ايها الفاحص عن الفضائل والطالب للاحب الحقيقي بما وضعت لنفسي بل تجاوزت في النصيحة لك
الى ان اشرت عليك بما فاتني في ابتداء امري لتدارك انت ذلك على طريق النجاة قبل ان تتيه في مفاوز الضلالة وقد
لك السفينة قبل ان تغرق في بحور المهالك **فالله** الله في نفوسكم معاشر الاخوان والاولاد واستسلموا للحق وتأدبوا
بالادب الحقيقي لا المزوّر وخذوا الحكمة البالغة واتبعوا الصراط المستقيم وتصوّروا حالات انفسكم وتذكروها واعلموا ان اصح
مثل صنفتكم من انفسكم الثلاث التي مر ذكرها في المقالة الاولى مثل ثلاث حيوانات مختلفة جمعت في رباط واحد ملك وسبع و
خنزير فايها غلب بقوته قوة الباقين كان الحكم له **وليعلم** من تصوّر هذا المثل ان النفس لما كان جوهرا غير جسم ولا قائما في جسم
واعراضه كما بينا ذلك في صدر الكتاب كان اتحادها واتصالها بخلاف اتحاد الاجسام واتصال بعضها ببعض وذلك ان هذه
الانفس الثلاث اذا اتصلت صارت شيئا واحدا ومع اتحادها تكون شيئا واحدا فمن باقية التغاير باقية القوى تنفرد
بعد الواحد حتى كانها لم تتصل بالاخرى ولم تتحد بها وتنفرد ايضا الواحدة بالاخرى حتى كانها غير موجودة ولا لها
قوة ينفرد بها وذلك ان اتحادها ليس بان يتصل نهايا تها ولا بان يتلاقى سطوحها كما يكون ذلك في الاجسام
بل يصير في بعض الاحوال شيئا واحدا وفي بعض الاحوال اشياء مختلفة بحسب ما يصح قوة بعضها او تسكن ولذلك قال

قال قوم ان النفس واحدة ولها قوى وقال اخرون بل هى واحدة بالذات كثيرة بالموضوع وهذا شئ يخرج الكلام فيه عن غرض الكتاب وسنرى بابك فى موضع وليس يضرك فى هذا الوقت ان تعتقد اى الاراء شئت بعد ان تعلم ان بعض هذه القوى اعنى القوة الكريمة الادبية بالطبع فالنفس بالطبع الناطقة **واما العادية** للادب وهى مع ذلك غير قابلة له فى النفس البهيمية **واما** التى عدمت الادب ولكنها تقبله وتنقاد له فى النفس الغضبية وانما وهب الله لنا هذه النفوس خاصة لنستعين بها على تقويم البهيمية التى لا تقبل الادب وقد شبهت القدماء الانسان وحاله فى هذه الانفس الثلاث بانسان راكب بهيمة قوية يقود كلبا اروغا للنقض فكان الانسان من بينهم هو الذى يروض دابته وكلبه يصرفهما بطيعانه فى سيره وتصيده وسائر منصرفاته فلا شك فى رغد العيش المشترك بين الثلاثة حسن احوالهم لان الانسان يكون مرفها فى مطالبه يجرى فرسه حيث يجب وكما يجب ويطلق كلبه ايضا لذلك واذا نزل واستراح اراحهما معه واحسن القيام عليهما واراح علتهما فى المطعم والمشرب كغاية الاعداء فى غير ذلك من مصالحهما واذا كانت البهيمية هى الغالبة ساءت حال الثلثة كلهم وكان الانسان مضعوفا عند ها فلم يطع فارسها وعابث فان راث عشا من بعيد عدت نحوه ونعست فى عدوها وعدلت عن الطريق النهج فاعترضها الاودية والوهاد والشوك والشجر فقحمتها وتورطت فيها وتحوفارسها فالحوه مثله فى هذه الاحوال فيصيبها جميعا من انواع المكاره والاشراف على الهلكة ما لا اخفاء به وكذلك ان قوى الكلب لم يطع صنائا فان راى من بعيد صيدا اخذ نحوه فجذب الفرس وفارسه وبحو الجميع من الصراط والمضر باضعاف ما ذكرناه وفى تصور هذا المثل الذى ضربه القدماء ينبغى على حال هذه النفوس بعضها عند بعض ودلالة على ما وهبه الله عز وجل للانسان وكرمه منه وعرضه له وما يضيعه بعضنا خالقه تعالى فيها عند اهمال السياسة واتباعه امرها بين القوتين ويعبد لهما وهما اللذان ينبغى ان يتبعاه بتامره عليهما **فمن** اساء حالا من اهمل سياسة الله وضيع نعمته عليه وترك هذه القوى فيه هائجة مضطربة تتغالب وصار الرئيس وسا والملك فيها مستعبدا نعوذ بالله من الانتكاس فى الخلق الذى سببه طاعة الشياطين والاتباع للاباسيئة فليس للانسان بها الى غير هذه القوى التى وصفناها وصفنا احوالها لنتسل بعصمته ومعونته على تهذيب هذه النفوس حتى تنتهى فيها الى طاعته التى هى مصالحها وبها نجاتنا وخلاصنا الى الفوز الاكبر والنعيم السرمد **فقد** علمنا الان ان النفس لعاقلة اذا عرفت شرف نفسها واحست

مرتبتها من الله عز وجل لحسنت خلافته فى ترتيب هذه القوى وسياستها وتهذيبها بالقوة التى اعطاها الله لاجلها من كرامته ومنزلتها من العلو والشرف ولم تخضع للسبع ولا للبهيمة بل يقوم النفس الغضبية التى سميناها سبعية وتعودها الى الادب بحملها على حسن طاعتها ثم يستعملها فى وقت هيجان النفس البهيمية وحركتها الى الشهوات حتى تقمع بقوة سلطان تلك وتستخدمها فى تاديبها ويستعين بقوة هذه على تاديب تلك وذلك ان هذه النفس الغضبية وان كانت للادب قوة على قمع الاخرى كما قلنا وتلك النفس البهيمية عادمة للادب غير قابلة له فاما النفس الناطقة اعنى العاقلة فهى كما قال افلاطون بهذه الالفاظ اما هذه فبمنزلة الذهب فى اللين والانعطاف واما تلك فبمنزلة الحديد فى الصلابة والامتناع فان اتاك اثرت الفعل الجميل فى وقت وجاذبتك القوة الاخرى الى اللذة والى خلافه اثرت ان تستعين بقوة الغضب التى تتوقد وتصيح بالانفة والحمية واقهرها النفس البهيمية فان غلبتك مع ذلك ثم ندمت وانفت فانت فى طريق الصلاح فقم عن ميتك واحدر ان تعاودك بالطمع فيك والغلبة لك فان تفعل ذلك ولم تكن العاقبة فى الغلبة لك كنت كما قال الحكيم الاول انى ارى اكثر الناس سريعين فى محبة الافعال الجميلة ثم لا يحتملون المؤنة فيها على علمهم بفضلها فيغلبهم الرقة ومحبة البطالة فلا يكونون بينهم وبين من لا يحب الجميل فرق اذا لم يحتملوا مؤنة الصبر يصيرون الى تمنا وما اثروه وعرفوا فضله واذكر مثل البير الذى ترددى فيه البصير والاعمى فيكونان فى الهلكة سواء الا ان الاعمى عذره ومن يصل من هذه الاداب الى مرتبة يعتد بها والمكتسب بها الفضائل التى عددناها فقد وجب عليه تاديب غيره وافاضة ما اعطاه الله على ابنائه جنسه

فصل فى تاديب الاحداث والصبيان نقلت الكلمة من كتاب برشن فقد قلنا فيما تقدم ان اول قوة تظهر فى الانسان اول ما يكون هى القوة التى يشتاق بها الى الغذاء الذى هو سبب كونه حيا فيتحرك بالطبع الى اللبن والتمسك من الثدى الذى هو معدن من غير تعليم ولا توقيف ويحدث له مع ذلك قوة على التماسه بالصوت الذى هو مادته ودليله الذى يدل به على اللذة والاذى ثم يتزيد فيه هذه القوة وتنشوق بها الى الازدياد والتصرف بها فى انواع الشهوات ثم يحدث فيه على التحرك نحوها بالآلات التى يخلق له ثم يحدث له الشوق الى الافعال التى يحصل له هذه ثم يحدث له من الحواس قوة على تخيل الامور ويرسم فى قوته الخيالية مثالات فينشوق اليها ثم يظهر فيه قوة الغضب التى يشتاق بها الى دفع ما يؤذيه ومعاقبة من منعه عن منافعه فان اطاق بنفسه ان ينتقم من مؤذياته انتقمها والا استعان عليه غيره واستصرخ بوالديه بالتصويت والبكاء ثم يحدث له الشوق الى تميز الافعال الانسانية خاصة اولا اولا حتى يصير الى كمال ما هذا

هذا التميز فيصير حينئذ عاقلا وهذه القوى كثيرة وبعضها ضرورية فى وجود الاخرى الى ينتهى الى الغاية الاخيرة وهى التى لايراد لغاية اخرى وهو الخير المطلق الذى يشتوقه الانسان من حيث هو انسان فاول ما يحدث فيه من هذه القوى الحياء وهو الخوف من مظنة شئ قبيح منه ولذلك قلنا اول ما ينبغى ان يتفرس فى الصبى ويستدل به على عقله الحياء فانه يدل على انه قد احس بالقبيح ومع احساسه هو يحذره ويجتنبه ويخاف ان يظهر منه او فيه فاذا نظرت الى الصبى فوجدته مستحييا مطرقا راميا ببصره الى الارض من غير وقاحة الوجه ولا حدة اليك فهو دليل على نجابته والشاهد لك على ان نفسه قد احسست بالجميل والقبيح فان حياءه هو لخصامها نفسه خوفا من قبيح يظهر منه وهذا ليس بشئ اكثر من ايثار الجميل والهرب من القبيح بالتميز والعقل وهذه النفس مستعدة للتاديب صالحة للعناية لا بد ان يعمل ولا يترك مخالطة الاضداد الذين يفسدون بالمقارنة والمداخلة **فمن كان** بهذه الحال من الاستعداد لقبول الفضيلة فيحقر عنده قدر الطعام الذى يستطعمه اهل الشره ويقبح عنده صورة من شره اليه وينال منه فوق حاجة بدنه او ما لا يوافقه حتى يقتصر على لون واحد ولا يرغب فى الالوان الكثيرة واذا جلس مع غيره ولا يبادر الى الطعام ولا يديم النظر الى الوانه ولا يحدق اليه شديدا ويقتصر على ما يليه ولا يسرع فى الاكل ولا يوالى بين اللقم بسرعة ولا يعظم اللقمة ولا يبتلعها حتى يجيد مضغها ولا يلطخ يده ولا ثوبه ولا يلحظ من يواكله ولا يتبع بنظره مواقع يده من الطعام ويعود ان يؤثر غيره مما يليه ان كان افضل مما عنده ثم يضبط شهوته حتى يقتصر على ادنى الطعام وادونه وليأكل الخبز والقفار الذى لا ادم معه فى بعض الاوقات وهذه الاداب وان كانت جميلة بالفقراء فهى اجمل بالاغنياء وينبغى ان يستوفى غذاءه بالعشى فانه ان استوفاه بالنهار كسل واحتاج الى النوم وتبلد فهم مع ذلك وان منع اللحم فى الكثرة وته كان نافعا بالحركة والتيقظ وقلة البلادة وبعده على النشاط الحقة فاما الحلوا والفاكهة فينبغى ان يمنع منها البتة ان امكن والا فليتناول اقل ما يمكن ثم يستحيل به بدنه فيكثر الحلال له ويعوده مع ذلك الشره ومحبة الاستكثار من الماكل ويعود ان لا يشرب فى خلال طعام الماء **فاما** النبيذ واصناف الاشربة المسكرة فاياه واياها فانها تضره فى بدنه ونفسه وتحمله على سرعة الغضب والنهوض والاقدام على القبائح وعلى الفحشاء وسائر الخلال المذمومة ولا ينبغى ان يحضر مجالس اهل النبيذ الا ان يكون اهل المجلس الادباء فضلاء فاما غيرهم فلا لتلا يسمع الكلام القبيح والسخافات التى تجرى فيه **وينبغى** ان لا ينام حتى يفرغ من وظائف الادب التى

يتعلمها ويتعب تعبا كافيا وينبغي ان يمنع من كل فعل يشره ويخفيه فانه ليس يخفى شيأ الا وهو يظن انه يعلم انه قبيح ويمنع
من النوم الكثير فانه يفتحه ويغلظ ذهنه ويميت خواطره هذا بالليل فاما بالنهار فلا ينبغي ان يتعود البتة ويمنع
ايضا الفراش الوطي وجميع انواع الترفه والتفنح حتى تصلب بدنه ويتعود الخشونة ولا يتعود الحديث ولا الشراب ولا الادناو
النيران في الشتاء للاسباب التي ذكرناها ويعود الشيء والحركة والركوب والرياضة حتى لا يتعوض اضدادها ويعود ان
لا يكشف اطرافه ولا يسرع في مشيه ولا يرخي يديه بل يضمهما الى صدره ولا يري شعره ولا يزين بالملبس الرديء و
يلبس خاتما الا وقت حاجته اليه ولا يتحرج على اقرانه بشيء مما يملكه والده ولا يشتهي من مأكله وملابسه ما يجري مجرى ما
بل يتواضع لكل واحد وكل من كل من عاشره ولا يتوصل لبسر ان كان له او سلطان من اهله ان انفق له ان غضب من
مؤدبه او استهدأ من لا يمكنه ان يرده عن هواه او تطاول عليه كمن انفق له ان كان خاله وزيرا او عم سلطانا فانه فوق
به الى هضيمة اقرانه وتلوح اخوانه واستباحة اموال جيرانه ومعارفه وينبغي ان يعود ان لا يبترق في مجلسه ولا يتمخط ولا يتثاءب
بحضرة غيره ولا يضع رجلا على رجل ولا يضرب تحت ذقنه بساعده ولا يعمل راسه بيده فان هذا دليل الكسل وانه
قد بلغ به التفخ الى ان لا يحمل راسه حتى يستعين بيده ويعود ان لا يكذب ولا يحلف البتة لا صادقا ولا كاذبا فان هذا
فهم بالرجال مع الحاجة اليه في بعض الاوقات فاما الصبي فلا حاجة به الى اليمين ويعود ايضا الصمت وقلة الكلام
وان لا يتكلم الا جوابا واذا حضر من هو اكبر منه استغل بالاستماع منه والصمت له ويمنع من خبيث الكلام ومن هجينه ومن
السب واللعن ولغو الكلام ويعود حسن الكلام وظريفه وجميل اللقاء وكريمه ولا يخص له ان يسمع اضدادها من غيره ويعود
خدمة نفسه وعمله وكل من كان اكبر منه واحرج الصبيان الى هذه الاداب الا الاغنياء والمترفين وينبغي ان
ضربه المعلم ان لا يصرخ ولا يستشفع باحد فان هذا فعل المماليك ومن هو خاضع ضعيف ولا يغير احدا
الا بالقبيح والسيء من الاداب ويعود ان يبر الصبيان وان يكافيهم على الجميل بالاكثر منه لئلا يتعود الربح على الناس
وعلى الصديق ويبغض اليه الفضة والذهب ويحذر منهما اكثر من تحذير السباع والحيات والعقارب والافاعي
فان افة حب الفضة والذهب اكثر من افة السموم وينبغي ان يؤذن له في بعض الاوقات ان يلعب لعبا جميلا
ليستريح اليه من تعب الادب لا يكون في لعبه الم ولا تعب شديد ويعود طاعة والديه ومعلمه ومن يليه وان
ينظر اليهم بعين الجلالة والتعظيم ويهابهم فان هذه الاداب نافعة لهم ويهيء الكبار من الناس ايضا فقد ولكنها

تلكها للاحداث انفع لانها تعودهم محبة الفضايل وينشاؤن عليها ولا ينثقل عليهم تجنب الرذايل ويسهل عليهم
بعد ذلك جميع ما يرسمه الحكمة ويجده الشريعة والسنة ويعتادون ضبط النفس عما تدعوهم اليه من اللذات القبيحة
ويكفهم عن الانهماك في شئ منها والفكر الكثير فيها ويشوقهم الى مرتبة الفلسفة العالية ويرقيهم الى معالي الامور التي
وصفناها في اول الكتاب من التقرب الى الله عز وجل ومجاورة الملكة مع حسن الحال في الدنيا وطيب العيش
وجميل الاحدوثة وقلة الاعداء وكثرة المداح والراغبين في مودته من الفضلاء خاصة فاذا تجاوز هذه الدرجة
وبلغ امامه الى ان يفهم اغراض الناس وعواقب الامور فهو ان الغرض الاخير من هذه الاشياء التي يقصدها
الناس ويحرصون عليها من الثروة واقتناء الضياع والعبيد والخيل والفرش واشباه ذلك انما هو تهيئة البدن وحفظ
صحته وان يبقى على اعتداله مدة ما وان لا يقع في الامراض ولا يفجاه المنية وان يتهنا بنعمة الله عز وجل عليه ويستعد
لدار البقاء والحيوة السرمدية وان اللذات البدنية كلها بالحقيقة هي خلاص من الام وراحات من تعب فاذا عرف
ذلك وتحققه ثم يعوده بالسيرة الدايمة عود الرياضات التي يحرك الحرارة الغريزية ويحفظ الصحة ويني الكسل ويطرد
البلادة ويبعث النشاط وتزكي النفس فمن كان مولدا مترفا كانت هذه الاشياء التي رسمتها اصعب عليه لكثرة من
يخلف به ولغوبه والموافقة طبيعة الانسان في اول ما ينشا هذه اللذات ولجماهير الناس على نيل ما امكنهم منها
وطلبا تعذر عليهم بغاية جهدهم فاما الفقراء فالامر عليهم اسهل بل هم قريبون الى الفضايل قادرون عليها
متمكنون من نيلها والاصابة منها وحال المتوسطين من الناس متوسطة في هاتين الحالتين وقد كان ملوك
الفرس الفضلاء لا يربون اولادهم بين حشمهم وخواصهم خوفا عليهم من الاحوال التي ذكرتها وكانوا ينفذونهم
الى النواحي البعيدة منهم ومن سماع ما حذرت منه فكان يتولى تربيتهم اهل الجفاء وخشونة العيش ومن
لا يعرف التنعم والترفه واخبارهم في ذلك مشهورة وكثير من رؤساء الديلم في زماننا هذا يفعلون اولادهم عند
ما ينشاؤن الى بلادهم ليتعودوا بها هذه الاخلاق ويبعدوا عن التفخر وعادات اهل البلدان الردية واذ قد
عرفت هذه الطرق المحمودة في تاديب الاحداث فقد عرفت اضدادها يعني ان من نشا على خلاف هذا المذهب
والتاديب لجي برجع فلاحة ولا ينبغي ان يشتغل باصلاحه وتقويمه فانه قد صار بمنزلة الخنزير الوحشي الذي لا يطمع في
رياضته فان نفسه العاقلة تصير خادمة لنفسه البهيمية ولنفسه الغضبية فهي مشتركة في مطالبها من التنوات كما لا يحيل

الرياضة من تشاء على هذه الطريقة واعتادها وامعن قليلا فى السن الا ان يكون فى جميع احواله عالما بحسن
سيرته ذاما لها عاتبا على نفسه عازما على الاقلاع والانابة فان مثل هذا الانسان قد يرجى له النزوع عن
اخلاقه بالتدريج والرجوع الى طريقة المثل بالتوبة وبمصاحبة الاخيار واهل الحكمة وبالاكباب عن التفلسف
واذ قد ذكرنا الخلق المحمود وما ينبغى ان يوخذ به الاحداث والصبيان فنحن واصفون جميع القوى التى يحدث
للحيوان اولا اولا الى ان ينتهى اقصى الكمال فانك شديد الحاجة الى معرفة ذلك لتبتدئ على الترتيب الطبيعى فى تقويم
واحد واحد منها **فنقول** ان الاجسام الطبيعية كلها تشترك فى الحد الذى يعمها ثم تتفاضل بقبول الاثار
الشريفة والصور التى يحدث فيها فان الجماد منها اذا قبل صورة مقبولة عند الناس صار بها افضل من الطينة
الاولى التى لا تقبل تلك الصورة فاذا بلغ الى ان يقبل صورة النبات صار بزيادة هذه الصورة افضل من الجماد
وتلك الزيادة هى الاغتذاء والنمو والامتداد فى الاقطار واجتذاب ما يوافقه من الارض والماء وترك ما لا يوافقه
وبعض الفضول التى يتولد فيه من غذائه عن جسمه بالصموغ وهذه هى الاشياء التى يتفضل بها النبات من
الجماد وهى حال زائدة على الجسمية التى حدثناها وكانت حاصلة فى الجماد وهذه الحالة الزائدة فى النبات التى تشرف
بها على الجماد يتفاضل وذلك ان بعضها يفارق الجماد مفارقة يسيرة ثم يتدرج فيها فيحصل من هذه الزيادة شئ بعد
شئ بعضها ينبت من غير بذر ولا يحفظ نوعه بالثمر المنوس والبزر ويكفيه فى حدوثه امتزاج العناصر وهبوب الرياح وطلوع
الشمس فلذلك هو فوق الجمادات وقريب الحال منها ثم يزداد هذا الفضل فى النبات فيتفضل بعضه على بعض
بنظام وترتيب حتى يظهر فيه قوة الانثار وحفظ النوع بالبذر الذى يخلف به مثله فيصير هذه الحال زائدة فيه
ومميزة له عن حال ما قبله ثم يقوى هذه الفضيلة فيه حتى يصير فضل الثالث على الثانى كفضل الثانى على الاول
ولا يزال يشرف ويفضل بعضه على بعض حتى يبلغ الى افقه ويصير فى افق الحيوان وهى كالنخل والزيتون والرمان
والكرم واصناف الفواكه الا انها بعد مختلطة القوى اعنى ان قوى ذكورها واناثها مختلطان غير
متميزتين فهى تحمل وتولد المثل ولم يبلغ غاية افقها التى يتصل بافق الحيوان ثم يزداد ويمعن فى هذا الافق الى
ان يصير فى افق الحيوان فلا يحتمل زيادة وذلك انها ان قبلت زيادة يسيرة صارت حيوانا وخرجت عن افق
النبات فى تميز قواها ان يحصل فيها ذكور واناث ويقبل من فضائل الحيوان امورا يتميز بها عن سائر النبات و

والشجر كالنخل الذى طالع افق الحيوان بالخواص العشرة المذكورة فى مولدها ولم يبق بينه وبين الحيوان الا مرتبة واحدة وهى الانتقال من الارض والسعى الى الغذاء **وقد روى** فى الخبر ما هو كالاشارة او كالرمز الى هذا المعنى وهو قوله صلى الله عليه واله وسلم اكرموا عمتكم النخلة فانها خلقت من بقية طينة ادم فاذا احرزت النبات وانقلع من افقه وسعى الى غذائه ولم يتقيد فى موضعه الى ان يصير اليه غذاؤه وكونه الات اخر متناول بها حاجاته التى يكمله فقد صار حيوانا وهذه الالات يتزايد فى الحيوان من اول افقه ويتفاضل فيه ويتفاوت بعضها على بعض كما كان ذلك فى النبات فلا يزال يقبل فضله بعد فضله حتى يظهر فيها قوة الشعور باللذة والاذى فيلتذ بوصول ما ينافعه ويتالم بوصول مضاره اليه ثم يقبل الهام الله عز وجل اياه فيهتدى الى مصالحه ويطلبها والى اضدادها فيهرب منها وما كان من الحيوان فى اول افق النبات فانه لا يتزاوج ولا يختلف المثل بل يتولد فقط كالديدان والذبان واصناف الحشرات الخسيسة ثم يتزايد فيها قبول الفضيلة كما كان ذلك فى النبات سواء ثم يحدث فيه قوة الغضب التى ينهض بها الى دفع ما يؤذيها فيعطى من السلاح بحسب قوتها وما يطيق استعماله فان كانت قوته الغضبية شديدة كان سلاحه قويا تاما وان كانت ناقصة كان ناقصا وان كانت ضعيفة جدا لم يعط سلاحا البتة بل يعطى آلة الهرب كسرعة العدو والقدرة على الحيل التى تنجيه من مخاوفه وانت ترى ذلك عيانا من الحيوان التى اعطى القرون التى يجرى له مجرى الرماح والذى اعطى الانياب والمخالب التى يجرى له مجرى السكاكين والخناجر والذى اعطى الرمى الذى يجرى له مجرى النبل والنشاب والذى اعطى الحوافر التى يجرى مجرى الدبوس والطبرزين فاما ما لم يعط سلاحا لضعفه عن استعماله ولقلة شجاعته ونقصان قوته الغضبية ولانه لو اعطيه لصار كلا عليه فقد اعطى آلة الهرب والحيل بجودة العدو والخفة والحيل والمراوغة كالارانب والثعالب واشباهها **واذا** تصفحت احوال الموجودات والسباع والوحش والطير رايت هذه الحكمة مستمرة فيها فتبارك الله احسن الخالقين **فاما الانسان** فقد عرض من هذه الالات كلها بان هدى الى استعمالها كلها وسخرت هذه كلها له وسنتكلم فى ذلك فى موضعه فاما اسباب هذه الاشياء والسلوك التى يعترض فى قصد بعضها بعضا بالتلف وانواع الالم والاذى فليس يليق بهذا الموضع وسنذكرها ان اخر الله فى الاجل عند بلوغنا الى الموضع الخاص به ونعود الى ذكر مراتب الحيوان **فنقول** ان ما اهتدى منها الى الازدواج وطلب النسل وحفظ الولد وتربيته والاشفاق عليه بالكن والعش والكناس كما نشاهد

فيما يلد ويبيض وتغذيته اما بالبان وما ينقل الغذاء اليه فانه افضل مما لا يحتاج الى شئ منها ثم لا يزال هذا الاحوال تتزايد في الحيوان حتى تقرب من افق الانسان فحينئذ يقبل التاديب ويصير بقبوله الادب في فضيلة يتميز بها من سائر الحيوانات الاخر ثم يتزايد هذه الفضيلة في الحيوانات حتى يشرف بها صنف الشرف كالفرس المؤدب والباز المعلم ثم يصير من هذه المرتبة الحيوان الذي يحاكي الانسان من تلقاء نفسه ويتشبه به من غير تعلم كالقردة وما شبهها ويبلغ من ذكائها الى ان يكتفي في التاديب بان يرى الانسان يعمل عملا فيعمل مثله من غير ان يحوج الانسان الى لعب بها ورياضة لها وهذه غاية افق الحيوان التي ان يجاوزها وقيل زيادة يسيرة خرج بها عن افقه وصار في افق الانسان الذي يقبل العقل والتمييز النطق والآلات التي يستعملها والصور التي يلائمها فاذا بلغ هذه المرتبة يحرك الى المعالي واشتاق الى العلوم وحدثت له قوى وملكات ومواهب من الله عز وجل يقتدر بها على الترقي والارتقاء من هذه الرتبة كما كان ذلك في المراتب الاخر التي ذكرناها واول هذه المراتب من الافق الانساني المتصلة باخر ذلك الافق الحيواني مراتب الناس الذين يسكنون في اقاصي المعمورة من الشمال والجنوب كاواخر الترك من بلاد يأجوج ومأجوج واخر الزنج واشباههم من الافق التي لا تميز عن القرد الا بمرتبة يسيرة ثم تتزايد فيهم قوة التمييز والفهم الى ان يصير الى اوساط الاقاليم فيحدث فيهم الذكاء وسرعة الفهم وقبول الفضايل واول هذا الموضع ينتهي فعل الطبيعة التي وكلها الله عز وجل بالموجودات المحسوسة ثم يستعد بها لقبول الاكتساب الفضايل وارتقاء الاداب بالارادة والسعي والاجتهاد الذي ذكرناه فيما تقدم حتى يصل الى اخر افقه فاذا صار الى افقه اتصل باول افق الملائكة وهذه اعلى مرتبة الانسان وعندها يتاحد الموجودات وينتهي اولها باخرها واخرها باولها وهو الذي يسمى **دايرة الوجود** لان الدائرة هي التي قيل في حدها انها خط واحد يبتدئ بالحركة من نقطة وينتهي اليها بعينها ودايرة الوجود هي المتاحدة التي جعلت الكثرة وحدة وهي التي تدل دلالة صادقة برهانية على وحدانية موجدها وحكمته وقدرته وجوده تبارك اسمه وتعالى جده وتقدس ذكره ولولا ان شرح هذا الموضع لا يليق لصناعة تهذيب الاخلاق لشرحته وانت تقف عليه ان بلغت اليه لمشيئة الله **وذا يكمل تصور** قدرما اومانا اليه وفهمته اطلعت على الحالة التي خلقت لها وندبت اليها وعرفت الافق الذي يتصل بافقك من مرتبة بعد مرتبته وركوبك طبقا عن طبق وحدث لك الايمان الصحيح وشهدت ما غاب عن غيرك من الدهماء وبلغت الى ان يندرج الى العلوم الشريفة المكنونة التي مبدأها علم المنطق فانه الة في تقويم الفهم والعقل العزيز ثم

نزل الوصول به الى معرفة الخلائق وطبائعها جاز التعلق بها والتوسع فيها والتوصل بها الى العلوم الالهية وحينئذ يستعد لقبول مواهب الله عز وجل وعطاياه وباياته الفيض الالهي ولتكن عن غلق الطبيعة وحركاتها على الشهوات الحيوانية ولتحفظ المراتب التي ترقيت منها اولا اولا من مراتب الموجودات وعلمت ان لكل مرتبة منها غاية الى ما قبلها وحدا وعلمت ان الانسان لا يتولد كما الا بعد ان يحصل له ما قبله وانه اذا لم يحصل استعدادا كاملا ولم يبلغ غايته فقد اشرف نحو الافق الاعلى عليه وصار اما محكما لذاته اما ناقصة الا لها مائلة فيما يتصرف فيه من المحاولات الحكمية والتاييدات العقلية في التصورات العقلية واما بنيا موبدا باية الوحي على ضروب المنازل التي يكون له عند الله عز وجل فيصير حينئذ وسطه بين الملاء الاعلى والملاء الاسفل فذلك يتصور من حال الموجودات كلها والحال التي ينتقل اليها من حال الانسية وسطا عند الافاق التي ذكرناها وحينئذ يفهم عن الله عز وجل قوله فلا يعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين ويتصور معنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله هنالك ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واذا بلغ بنا الكلام الى ذكر هذه المنزلة العالية الشريفة التي اهل الانسان لها وانشقنا الحوالة التي يترقى فيها وانه يكون اولا بالشوق الى المعارف والعلوم فينبغي ان نريد في بيانه وشرحه **فنقول** ان هذا الشوق ربما ساق الانسان على منهاج قويم وقصد صحيح حتى تنادى الى غاية كماله وهي سعادته التامة وقلما يتفق ذلك ولهذا ما خرج به عن السمت والسنن وذلك لاسباب كثيرة يطول ذكرها ولا حاجة بك الى علمها الان وانت في تهذيب خلقك فاعلم ان الطبيعة المدبرة للاجسام ربما شوقت الى ما ليس تمام الجسم الطبيعي لاجل ما يحدث به واقامت تطرا عليه بمنزلة من ينشأ قوى الاكل الطعم ويتمناه مما لا يكمل طبيعة الجسد بل يهدمه ويفسده كذلك ايضا النفس المناطقة ربما اشتاقت الى النظر والتميز الذي لا يكمله ولا يشوقه نحو سعادته بل يحركه الى الاشياء التي يعوقه ويقصره عن كماله فحينئذ يحتاج الى علاج نفساني وروحاني كما احتاج في الحالة الاولى الى طب طبيعي جسماني ولذلك يكثر حاجات الناس الى المفوهين والمنفقين والى المؤيدين والمسددين فان وجود تلك الطبايع الفايقة التي ينساق بذاتها من غير توقف الى السقاة عسير الوجود لا يوجد الا في ازمنة الطوال والمدد البعيدة وهذا الادب الحق الذي يؤدينا الى غايتنا يجب ان يلحظ فيه البدء الذي يجري مجرى الغاية حتى اذا لحظت الغاية تدرج منها الى الامور الطبيعية على طريق التحليل ثم يعتد لمن يشتغل على طريق التركيب فيسلك فيها الى ان ينتهي الى الغاية التي لحظت اولا وهذا هو المعنى الذي

اخرجنا فى مبدء هذا الكتاب وفى فصول اخر منه ان نذكر اشياء عالية لا يليق ببدء الصناعة ليتشوق اليها من يبتغيها فى ليس يمكن الانسان ان يشتاق الى ما لا يعرفه البتة فاذا لحظها من وجه قبول لها وعناية بما عرفها بعض المعرفة فيتشوقها وسعى نحوها واحتمل التعب والنصب فيها **وينبغى** ان يعلم ان كل انسان معد نحو فضيلة ما فهو اليها اقرب والصول اليها اخرى ولذلك ما تصير سعادة الواحد من الناس غير سعادة الآخر اذا اتفقت له نفس صافية وطبيعة فائقة فتنتهى الى غايات الامور والى غايات غاياتها اعنى السعادة القصوى التى لا سعادة بعدها والاجل ذلك يجب على مدبر البلدان ان يشوق كل انسان نحو سعادته التى تخصه ثم يقسم عنايته بالناس وينظر لهم بقسمين احدهما فى تسديد الناس وتقويمهم بالعلوم الفكرية والآخر فى تسديدهم نحو الصناعات والاعمال الحسية واذا سددهم نحو السعادة بدأ بهم من الغاية الاخيرة على طريق التحليل ووقف بهم عند القوى التى ذكرناها واذا سددهم نحو السعادة العملية بدأ بهم من عند هذه القوى وانتهى بهم الى تلك الغايات **ولما كان** غرضنا فى هذا الكتاب السعادة الخلقية وان يصدر عنا الافعال الكمالية كما رسمنا فى صدر هذا الكتاب وعملناه لاجل الحكمة لا للعوام وكان النظر يقدم العمل وجب ان نذكر الخير المطلق والسعادة الانسانية لتلحظ الغاية الاخيرة فتطلب بالافعال الارادية التى ذكرنا فى المقالة الاولى وارسطاطاليس انما بدأ كتابه بهذا الموضع افتقر بذكر الخير المطلق ليعرف ويتشوق ونحن نذكر ما قاله ونتبعه بما اخذناه ايضا عنه فى مواضع اخر ليجتمع لنا ما فرق فى تضييف الى ذلك ما اخذناه عن شيخه كتبه والمستفيدين بحكمته بحول الله استطاعتنا والله الموفق والمويد فان الخيرات بيده وهو حسبنا ونعم الوكيل وصلواته على نبيه محمد وآله **تمت المقالة الثانية** تبدأ بمشيئة الله تعالى فى هذه المقالة بذكر الفرق بين الخير والسعادة بعد ان نحلل الفاظ ارسطو اقتداء به وتوفية لحقه **فنقول** ان الخير على ما حده واستحسنه من اراء المتقدمين هو المقصود من الكل وهو الغاية الاخيرة وقد يسمى الشئ الناقص فى هذه الغاية خيرا فاما السعادة فهى الخير بالاضافة الى صاحبها وهى كمال له فالسعادة اذن خير ما وقد يكون سعادة الانسان خير سعادة الفرس وسعادة كل شئ فى تمامه وكماله الذى يخصه فاما الخير الذى يقصد من الكل بالتشوق فهو طبيعة قصد ولها ذات وهو الخير العام للناس من حيث هم ناس فهم باجمعهم مشتركون فيها واما السعادة فهى خير بالواحد واحد من الناس فهى اذن بالاضافة وليس لها ذات بعينه وهى تختلف بالاضافة الى قاصديها فلذلك يكون الخير المطلق غير مختلف فيه وقد نظن ان السعادة تكون للغير الناطقين فان كان ذلك فانما هى مستعدات

استعدادات فيها القبول اما ما منها ما كالا نها عن غير قصد ولا روية ولا ارادات فتلك الاستعدادات هي الشوق او
ما يجري مجرى الشوق من الناطقين بالارادة واما ما منها ما في الحيوانات في ما كلها ومشاربها وراحاتها فمنها ما يسمى
بختا او اتفاقا ولا يدخل لاسم السعادة كما يسمى في الانسان ايضا وانما استحسن ذلك الحد الذي ذكرناه الخير المطلق
لان العقل لا يطلق السعي والحركة الا الى نهاية وهذا اول في العقل ومثال ذلك ان الصناعات والعلوم التعليمية
الاختيارية كلها يقصد بها خيرا وما لم يقصد به خيرا فهو عبث والعقل يحظره ويمنع منه فما لو اجتمع الخير المطلق هو المقصود
اليه من كل الناس ولكن بقي ان يعلم ما هو وما الغاية الاخيرة منه التي هي غاية الخيرات التي يرتقي الخيرات كلها اليها
بحيث ذلك الخير غرضا متوجها اليه ولا نشترك كثيرا في الخيرات الكثيرة التي تؤدي اليها اما ما ادية بعيدة واما ما ادية قريبة
ولا يغلط ايضا فيما ليس بخير فيظنه خيرا ويفني اعمارنا في طلبه والتعب وكل سنبين بمشية الله **اقسام الخير**
الخير على ما اشتهر رسطو وحكاه عنه فرفوريوس وغيره هكذا قال الخيرات منها ما هي شريفة ومنها ما هي ممدوحة ومنها ما هي
بالقوة كذلك ومنها ما هي نافعة فيها **فالشريفة** منها هي التي شرفها من انها تحصل من اقتنائها ايضا شريفا وهي
الحكمة والعقل **والممدوحة** مثل الفضايل والافعال الجميلة الارادية **والتي** هي بالقوة هي مثل التهيؤ
والاستعداد لنيل الاشياء التي تقدمت **والنافعة** هي جميع الاشياء التي يطلب لاجل انها قابل ليوصل بها الى الخيرات
وعلى جهة اخرى الخيرات **منها** ما هي غايات **ومنها** ما ليست بغايات والغايات **منها**
ما هي تامة **ومنها** ما هي غير تامة فالتي هي تامة كالسعادة وذلك انا اذا وصلنا اليها لم نحتج الى ان نسترد اليها شيأ
اخر فالتي هي غير تامة فكالصحة والبيا من مثل ما اذا وصلنا اليها احتجنا الى ان نسترد فقدت شيأ اخر وامثالها
التي ليست بغايات البتة فبمنزلة العلاج والتعلم والرياضة **وعلى جهة اخرى** الخيرات **منها** ما هي في
النفس **ومنها** ما هي في البدن **ومنها** ما هي خارج عنها **وعلى جهة اخرى** الخيرات منها ما هو خير لاجل ذاته **ومنها**
ما هو خير لاجل غيره **ومنها** ما يؤثر للامرين جميعا **وعلى جهة اخرى** الخيرات منها ما هو خير على الاطلاق و
منها ما هو خير عند الضرورة والاتفاقات التي يتفق لبعض الناس في وقت دون وقت وايضا منها ما هو خير لجميع الناس
ومن جميع الوجوه وفي جميع الاوقات **ومنها** ما ليس لجميع الناس ولا من جميع الوجوه **وعلى جهة**
اخرى الخيرات منها ما هو في الجوهر ومنها ما هو في الكمية ومنها ما هو في الكيفية وفي سائر

المقولات فمنها كالقوى والملكات فمنها كالاحوال ومنها كالافعال ومنها كالغايات ومنها كالمعاونة ومنها كالامور
والمجرد الخير في المقولات كلها يكون على هذا المثال اما في الجواهر اعني النفس بعرض فاطره تعالى وتقدس هو الخير الاول
فان جميع الاشياء يحرك نحوه بالشوق اليه ولان بنال الخيرات الممكنة من البقاء والسرمد والتمام منه واما في الكمية فكالعدل
المعتدل والمقدار المعتدل فكالدرارع واما في الاضافة فكالصدق في الرياسات واما في الاين وهي الكان فكالكان
المعتدل والزمان الانيق للبيع واما في الوضع فكالقعود والاضطجاع والانكباء الموافق واما في الملك فكالملابس
والمتاع واما في الانفعال فكالسماع الطيب وسائر المحسوسات الموثرة واما في الفعل فمثل نفاذ الامر ورجاء
الفعل وعلى جهة اخرى الخيرات منها معقول ومنها محسوسات فاما السعادة فقد قلنا انها
خير وهي تمام الخيرات وغايتها والتمام هو الذي اذا بلغنا اليه لم يحتج معه الى شيء اخر فلذلك نقول ان السعادة
هي افضل الخيرات ولكنا نحتاج في هذا التمام الذي هو لغاية القصوى الى سعادات اخر وهي التي في البدن والتوخاج
البدن وارسطوانه يقول انه يعسر على الانسان ان يفعل الافعال الشريفة بلا مادة مثل اتساع اليد وكثرة الاصدقاء
وجودة البخت قال ولهذا ما احتاجت الحكمة الى صناعة الملك في اظهار شرفها قال ولهذا قلنا ان الكان شيء عطية
من الله تعالى وموهبته للناس فهي السعادة لانها عطية منه عز اسمه في اشرف منازل الخيرات وفي اعلى مراتبها
وهي خاصة الانسان التام ولذلك لا يشاركه فيها من ليس بتام كالصبيان ومن يجري مجراهم فهذه اقسام
الخيرات واما اقسام السعادة على مذهب الحكيم فهي خمسة اقسام احدها في صحة البدن و
لطف الحواس ويكون ذلك من اعتدال المزاج اعني ان يكون جيد السمع والبصر والشم والذوق واللمس والثاني
في الثروة والاعوان واشباههما حتى يتسع للانسان بوضع المال في موضعه ويعمل به سائر الخيرات ويواسي منه اهل بيته
خاصة والمستحقين عامة ويعمل به كل ما يريد في غضائله ويستحق الثناء والحمد عليه والثالث ان يكون
احدوثته في الناس وسمعته ذكره بين اهل الفضل بكون حمدهم بينهم ويكثر ان الثناء عليه لما يفيض عليه
من الاحسان والمعروف والرابع ان يكون سجاح الامور ذلك اي المستقيم كل ما يرى فيه وغرض عليه
حتى يسير الى ما امله منه والخامس ان يكون جيد الراي صحيح الفكر سليم الاعتقادات في ربه وفي نفسه وفي جيرانه
بريا من الخطاء والزلل جيد المشورة في الامور فمن اجتمعت له هذه الاقسام كلها فهو السعيد التام على حسب

على مذهب هذا الرجل الفاضل ومن حصل له بعضها كان حظه من السعادة بحسب ذلك **واما الحكماء** الذين كانوا قبل هذا الرجل مثل فيثاغورس وسقراط وافلاطن واشباههم فانهم اجمعوا على ان الفضايل والسعادة كلها في النفس وحدها ولذلك لما قسموا السعادة جعلوها كلها في قوى النفس التي ذكرناها في اول الكتاب وهي الحكمة والشجاعة والعفة والعدالة واجمعوا على ان هذه الفضايل هي كافية في السعادة ولا يحتاج معها الى غيرها من فضايل البدن ولا ما هو خارج البدن وان الانسان اذا حصل تلك الفضايل لم تضره في سعادته ان يكون سقيما ناقص الاعضاء مبتلى بجميع امراض البدن اللهم الا ان يلحق النفس منها مضرة في افعالها مثل فساد العقل وزوال الذهن وما اشبهها فاما الفقر والخمول وسقوط الجاه وسائر الاشياء الخارجة عنا فليست عندهم بقادحة في السعادة البتة فاما الرواقيون وجماعة من الطبيعيين فانهم جعلوا البدن جزءا من الانسان ولم يجعلوه آلة كما شرحناه فيما تقدم فلذلك اضطروا الى ان يجعلوا السعادة التي في النفس غير كاملة اذا لم يقترن بها سعادة البدن وما هو خارج البدن ايضا اعني الاشياء التي تكون بالبخت والجد والمحققون من الحكماء يحقرون امر البخت وكلما يكون به ومعه ولا يوهلون تلك الاشياء لما يتم السعادة لان السعادة شيء ثابت غير زايل ولا متغير وهي اشرف الاشياء واكرمها واعرضها فلا يجعلوا لاخس الاشياء وهو الذي يتغير ولا يثبت ولا يحصل بروية ولا فكر ولا يناله بعقل وفضيلة فيها نصيبا ولهذا النظر اختلف القدماء في السعادة العظمى فظن قوم انها لا تحصل للانسان الا بعد مفارقة البدن والطبيعيات كلها وهؤلاء هم القوم الذين حكينا عنهم ان السعادة العظمى هي في النفس وحدها وسموا الانسان ذلك جوهر مجرد دون البدن ولذلك حكموا انها ما دامت متصلة بالطبيعة وكدرها وبجاسات البدن وضرورته وحاجات الانسان به وافتقاراته الى الاشياء الكثيرة فليست سعيدة على الاطلاق وايضا لما راوها لا يكمل لوجود الاشياء العقلية لانها يشتغل عنها بظلمة الهيولى اعني قصورها ونقصانها ظنوا انها اذا فارقت الجهالات وصفت وخلصت قبلت الاضاءة والنور الالهي اعني العقل التام ويجب على راي هؤلاء ان يكون الانسان لا يسعد السعادة التامة الا في الاخرة بعد موته واما ما دام هو انسان فليست له سعادة تامة واما الفرقة الاخرى فانها قالت انه من القبيح الشنيع ان نظن ان الانسان ما دام يعمل الاعمال الصالحة ويعتقد الاراء الصحيحة ويسعى في تحصيل الفضايل كلها لنفسه او لاشخاص اجنبية ويخلف رب العزة تعالى ذكره في خلقه بهذه الافعال المرضية فهو شقي ناقص حتى اذا مات وبعدم هذه الاشياء صار سعيدا

تام السعادة وارسطاطاليس يحقق بهذا الراى وذلك انه تكلم فى السعادة الانسانية والانسان هو المركب عندهم
بدن ونفس ولذلك حد الانسان بالناطق المائت وبالناطق المائى برجلين وما اشبه ذلك وهذه الفرقة التى
رئيسها ارسطاطاليس ان السعادة الانسانية تحصل فى الدنيا اذا سعى لها وتعب بها حتى يبلغ الى اقصاها والمارستى
ذلك ان الناس مختلفون فى هذه السعادة الانسانية وانها قد اشكلت عليهم اشكالا شديدا احتاج الى التعب فى الاتيان
عنها والى اطالة الكلام فيها وذلك ان الفقير يرى ان السعادة العظمى فى الثروة واليسار والمريض يرى انها فى الصحة والذليل
والذليل انها فى الجاه والسلطان والخليع يرى انها فى التمكن من الشهوات كلها على اختلافها والعاشق يرى انها فى
الظفر بالمعشوق والفاضل يرى انها فى افاضة العلوم والغبى شقى يرى ان هذه كلها اذا كانت مرتبة بحسب العقل اعنى
عند الحاجة وفى الوقت الذى يجب ويكما يجب فيها كلها سعادات وما كان منها بارادة شئ اخر فذلك الشئ حرى بالسعادة ولما
كان كل واحد من هاتين الفرقتين نظر نظرا ما وجب ان نقول فى ذلك ما نراه صوابا وجامعا للراس فنقول ان الانسان
ذو فضيلة روحانية يناسب بها الارواح الطيبة التى ليس بينها وبينه شكة وذو فضيلة جسمانية يناسب بها الانعام لانه مركب منها فهو بالجزء
الجسمانى الذى يناسب به الانعام مقيم فى هذا العالم الجسمانى السفلى مدة قصيرة ليعمره وينظمه ويرتبه حتى اذا ظفر بهذه المرتبة
على الكمال انتقل الى العالم العلوى واقام فيه دائما سرمدا فى صحبة الملائكة والارواح الطيبة فينبغى ان يفهم من قولنا العالم
السفلى والعالم العلوى ما ذكرناه فيما تقدم فانا قد قلنا هناك انا نسمى بالعلو المكان الاعلى فى الحس وبالعالم السفلى
المكان الاسفل فى الحس بل كل محسوس فهو سفلى وان كان محسوسا فى المكان الاعلى وكل معقول فهو على وان كان معقولا
فى المكان الاسفل فينبغى ان يعلم انه ليس يحتاج فى صحبة الارواح الطيبة اعنى المستغنية عن الابدان الى شئ من
السعادات البدنية التى ذكرناها انما تسمى سعادة النفس فقط اعنى المعقولات الابدية التى هى بالحقيقة الحكمة فقط فانا ما دام
الانسان انسانا فليس يتم له السعادة الا بتحصيل الحالين جميعا وليس يحصلان على التمام الا بالاشياء الناهضة فى الوصول
الى الحكمة الابدية فالسعيد اذن يكون من الناس فى احد مرتبتين اما فى رتبة الاشياء الجسمانية متعلقا بارواحها السفلى
سعيدا بها وهو مع ذلك يطالع الامور الشريفة باحثا عنها مشتاقا اليها محتقرا لنحوها منقبضا بها واما ان يكون فى الاشياء
الروحانية متعلقا بارواحها العليا سعيدا وهو مع ذلك يطالع الامور الدينية ومعتبرا بها ناظرا فى علامات القدرة
الالهية ودلايل الحكمة البالغة مقتديا بها ناظما لها ماضيا الخيرات عليها سابقا اليها نحو الافضل فالافضل بحسب

هذا الكتاب وقف على طلبة العلم الشريف بالمدرسة الفلانية بشرط ان لا يخرج من البلد ولا يباع ولا يرهن

قبولها كل من استطاعها واى امر تام يحصل فى احدى هاتين الذاتيتين فهى رتبة الانعام بل هو اصل لها وانما صار اصل تلك خير معرضة لهذه الخيرات كما ان استطاعة بصر ما بها فهى هذه المراتب العالية وانما يضر اذا بقوا لها خوالا الخاصة بها والانسان معرض لها مستعد لها بما فيها من مزاج العلة فيها وهو من زاوية غير محصل لها كما ان الاساءة هى مع ذلك مؤثرة لضدها باستعمال قواه الشريفة فى الامور الدنية فتلك محصلة لكمالاتها التى يختصها فاذن الانعام اذا صنعت الخيرات الانسية وجبت جوار الارواح الطيبة ودخول الجنة التى وعد بها المتقون فهو معذور به والانسان غير معذور بل مثل الاول مثل الاعمى اذا حار عن الطريق فتردى فى بئر فهو مرحوم غير ملوم ومثل الثانى مثل البصير الذى يمشى على بصيرة حتى يتردى فى البئر فهو ملوم غير مرحوم **واذ قد** تبين ان السعيد كما له فى احدى المرتبتين اللتين ذكرناهما فقد تبين ايضا ان احدهما ناقص قصر عن الاخرى وان الناقص منهما لا يخلو لا يتبرى من الالام والحسرات لاجل انخداع الطبيعة والزحارف التى يقتضيها ما يلابسه فيقع عما يلاحظه ويمنعه من الترقى فيها على ما ينبغى ويشغله بما يتعلق به من الامور الجسمانية فصار هذه الرتبة غير كامل على الاطلاق ولا سعيد تام وان حصل الرتبة الاخرى هى السعيد التام وهى الذى يوفر حظه من الحكمة فهى مقيم بمحاذاة بين الملاء الاعلى يستمد منهم لطائف الحكمة ويستلين بالنور الالهى ويستزيد من فضائله بحسب عنايته بها وقلة عوائقه عنها فلذلك يكون ابدا خاليا من الالام والحسرات التى لا يخلو منها الرتبة الاول منها ويكون مسرورا ابدا بذاته مغتبطا بحاله وبما يحصل له دائما من فيض نور الاول فليس ليبال بتلك اللذات ولا يغتبط لابتلك المحاسن ولا يهش لا لاظهار تلك الحكمة بين اهلها ولا يرتاح الا لمن ناسبه او قاربه واحب لاقتباس منه وهذه هى الرتبة التى من وصل اليها فقد وصل الى اخر السعادات واقصاها وهو الذى لا يبالى بفراق الاحبا من اهل الدنيا ولا يتحسر على ما يفوته من التنعم بها وهو الذى يرى جسمه وماله وجميع خيرات الدنيا التى عددناها فى السعادات التى فى بدنه الخارجة عنها كلها كالا عليه الا فى ضرورات يحتاج اليها البدن الذى هو مربوط به لا يستطيع الانحلال عنه الا عند مشيئة خالقه وهو الذى يشتاق الى مصيبة اشكاله وملاقاة من يناسبه من الارواح الطيبة والملائكة المقربين وهو الذى لا يفعل الا ما اراده الله منه ولا يختار الا ما قرب اليه ويخالفه الى شئ من هواه وشهواته الردية ولا ينخدع بخدائع الطبيعية ولا يلتفت الى شئ يعوقه عن سعادته وهو الذى لا يحزن على فقد محبوب ولا يتحسر على فوت مطلوب الا ان هذه الرتبة الاخيرة يتفاوت الناس فيها تفاوتا عظيما اعنى لمن وصل اليها من الناس

يكونون على طبقات كثيرة غير متقاربة وهما ان المرتبتان هما اللتان ساق الحكيم كلامه اليهما واختار المرتبة الاخيرة منهما وذلك في كتابه المسمى بفضايل النفس وانا اورد الفاظه التي نقلت الى العربية بعينها **قال اول** رتب الفضايل التي تسمى سعادة ان يصرف الانسان ارادته ومحاورته الى مصالحه في العالم المحسوس والامور المحسوسة من اجل النفس والبدن وما كان من الاحوال متصلا بذلك ومشاركا له من الامور النفسانية ويكون تصرفه في الامور المحسوسة تصرفا لا يخرج به عن الاعتدال الملايم لاحواله الحسية وهذه حال فيتلبس فيها الانسان بالاهواء والشهوات الا ان ذلك بقدر معتدل غير مفرط وهو على ما ينبغي وترب منه الى ما لا ينبغي وذلك انه يجري امره مجرى اصحاب التدبير المتوسط في الفضيلة وما لا يخرج به عن تقدير الفكر وان لابس الامور المحسوسة وتصرف فيها **ثم الرتبة الثانية** وهي التي يصرف فيها الانسان فيها ارادته ومحاولاته الى الامر الافضل من صلاح امر النفس والبدن من غير ان يتلبس مع ذلك بشيء من الاهواء والشهوات ولا تكثر بشيء من المقتنيات المحسوسة الا بما تدعو اليه الضرورة ثم يتزايد رتبة الانسان في هذا الضرب من الفضيلة وذلك ان الاماكن والرتب في هذا الضرب من الفضايل تكثر بعضها فوق بعض وسبب ذلك **اما** اولا فاختلاف طبايع الناس **وثانيا** على حسب العادات **وثالثا** بحسب منازل الناس ومواضعهم من العلم والمعرفة والفهم **ورابعا** بحسب همتهم **وخامسا** بحسب شوقهم ومعاناتهم ويقال ايضا بحسب جد وهم ثم تكون النقلة من آخر هذه المرتبة عن هذا الصنف من الفضيلة الى الفضيلة الالهية المحضة وهي التي لا يكون فيها تشوق الى آلات ولا تلفت الى خوجاء ولا تشبع بماض ولا تطلع الى ناء ولا ضر قريب ولا خوف ولا فزع من حال ولا تشغف بها ولا تطلب بحظ من الحظوظ الانسانية ولا من الحظوظ النفسانية ايضا ولا ما تدعو اليه الضرورة اليه من حاجات البدن والقوى الطبيعة ولا القوى النفسانية ايضا لكن يصرف الجزء العقلي في اعالي رتب الفضايل وهو صرف الولد الى الامور الالهية ومعاناتها ومحاولتها بالطلب عن اعني لينكون تصرفه فيها ومعاناته ومحاولته لها النفس فيها فقط وهذه الرتبة ايضا تتزايد في التحسب الهمم والشوق وفضل المعاناة والمحاولة وقوة الحيرة وصحة الثقة وبحسب منزلة من بلغ الى هذا البلغ من الفضيلة في هذه الاحوال التي عددناها الان يكون تشبهه بالعلة الاولى واقتداءه بها وتابعاتها واخر المراتب في الفضيلة ان يكون افعال الانسان كلها افعالا الهية وهذه الافعال هي خير بعض الفعل اذا كان خيرا محضا فليس يفعل فاعله من اجل شيء اخر غير الفعل نفسه وذلك ان الخير المحض هو غاية مستحقاة لذاتها اي هو الامر المطلوب نفسه للمقصود لذاته والامور هي غاية

فيه نزع الى ثالث الغرض التي كانت لاجله عن سعادته ولا سقط انها لانه قد يطلبها ويتيسر له ويتعذر عليه ارادة لما
ولا حرص عليها وقد استعطى الجزء الرديء الجاهلين وتحمل كراهة بعض من سمعه الذي كان خيرا مستعدا له لا فيه قول من
عطائه وبايسه حينئذ السبع الذي وعد به المتقون والابرار مما يسبق الانبياء اليه مرارا في قوله عز وجل فلا تعلم نفس ما
اخفي لهم من قرة اعين وفي قوله النبي صلى الله عليه وآله وسلم هنالك ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على
قلب بشر واذ قد لخصنا امر هاتين المنزلتين من السعادة فقد تبين بيانا كافيا ان احدهما بالحقيقة السعادة الاولى
والاخرى ثابتة ومن المحال ان ينسلك الى الثانية من غير ان تمر بالاولى فقد وجب ان نفرغ الان ايدانا به من ذكر الرتبة
الاولى من السعادة الاخيرة ونستوفي الكلام فيها وفي الاخلاق التي بها يتم الكتاب عليها ونخلص عن بيان الرتبة الثانية الى
وقت اخر ونقول ان من مخى بعض القوى التي ذكرناها دون بعض ولم تعد لاصلاحها في وقت دون وقت لا يحصل له
السعادة وكذلك يكون حال الرجل في تدبير منزله اذا عني ببعض اجزائه دون بعض وفي وقت دون وقت فانه لا يكون
مدبر منزل وكذلك حال مدبر المدينة اذا خص بنظره طائفة دون طائفة او وقتا دون وقت لم يستحق اسم الرياسة
على الاطلاق وارسطاطاليس تمثل بان قال ان الخطاف الواحد اذا اظهر لا يدل على طبيعة الربيع ولا يوم واحد
بالحقيقة يبشر بالربيع فسبيل طالب السعادة ان يطلب السيرة اللذيذة عنده فيشرع فيها دائما فان تلك السيرة هي واحدة
لذيذة في نفسها فاذا كان كذلك علمنا انه ينبغي ان يشرع فيها دائما ويثبت عليها ابدا ولما كانت السير ثلثا لانها ينقسم اليها
الغايات الثلث التي يقصدها الناس اعني سيرة اللذة وسيرة الكرامة وكانت سيرة الحكمة اشرفها وانفعها وكانت
فضايل النفس كثيرة وجب ان يفضل الانسان بافضلها ويشرف باشرفها فسيرة الافاضل السعداء سيرة اللذيذة
بنفسها لان افعالها مختارة وممدوحة وكل انسان يلتذ بما هو محبوب عنده فليلتذ بالعدل العامل وليلتذ بالحكمة
الحقيقية لافعال الفاضلة والغايات التي ينتهي اليها بالفضايل لذيذة محبوبة للسعداء الذين كل شيء ارسطوطاليس
يقولان السعادة الاهية وانخاذ كما ذكرناه من الشرف وسيرتها الذي اجود من كل فاضل مصاحبة السعداء
الاخر الخارجة لان يظهر بها والا كانت كامنة غير ظاهرة واذا كانت كذلك كان صاحبها كالفاضل الناسك الذي
لا يظهر فضايله حينئذ لكن يكون بينه وبين غير متوحشا وصفنا من حالها فيما تقدم فاطلع اذن على حقيقة هذه
السعادة التمكن من تظهر افعاله بها هو الذي يلتذ بها وهو الذي يسير سيرة حقيقية اجود من ولا

يعرض له افضل الافعال من الصبر والعفة ومن باختصار الافضل مرة ومن الشهوات في الاعمال اذا استعمل فيها الجزء
الفعل اذا عدها ليكون سعيدا في جميع احواله غير مستقل عن السعادة بوجه من الوجوه فالسعيد انما يقع عليه اسم فاضل جميل
سيرته اكثر سعادة لانه يزاد به مدارا جميلة ويصير على الشدائد والمحن بصبر احسن ومتى لم يفعل ذلك كانت سعادته
ونقصها عليه وجلبت له احزانا وغموما يعوقه عن افعال كثيرة وتجميل اذا ظهر من السعيد في هذه الاحوال كان اشد
اشراقا واحسن وذلك اذا احتمل اكبر واعظم من المصائب احتمالا سهلا لا بعد ان لا يكون اذ ذاك لعدم حسه ولا لانقصان
فهمه بالامر بل لشهامته وكبر نفسه قال واذا كانت الافعال هي ملاك السيرة كما قلنا فليس يكون احد من السعداء
شقيا لانه ليس يفعل في وقت من الاوقات افعالا مكروهة فاذا كان هذا هكذا فالسعيد يكون ابدا مغبوطا وان
حلت به المصائب التي حلت ببني ناس فلا يكون شقيا ولا سريع التنقل عن ذلك انه ليس انما لا ينتقل عن السعادة
بسهولة ولا ينقله عنها الافات اليسيرة لكنه لا ينقله الا فات العظيمة الكثيرة وليس انما يكون سعيدا اذا نالته هذه
الامور زمانا يسيرا بل اذا اتصف بامور جميلة في زمان طويل ثم قال بعد ذلك فاما حال الانسان بعد موته
فان القول بان الافات التي تعرض لاولاد الميت واصدقائه باجمعهم ليس تتعلق به اصلا هو قول غير مقبول جدا
وهو مضاد لما يعتقده جميع الناس اذا كانت الامور العارضة لهم كثيرة متعسرة وكان بعضها يتعدى الى الميت
اكثر وبعضها اقل صارت قسمتنا اياها الى الاشياء الحرية بلا نهاية فاما اذا اقتنا ولا كلية وعلى طريق الرسم فخليق
ان يكتفى بما يقوله فيها وهو انه كما ان الافات التي تعرض للميت في حيوته بعضها يتعلق عليه احتماله ويشتمل في سيرته
وبعضها يخف عليه احتماله كذلك يكون حاله فيما يعرض لاولاده واصدقائه وكل واحد من العلى وض التي تعرض
للاحياء بعد الموت فانه اذا تعرض لهم اخاما فوق الكثير من مخالفة كل ما يضرب به المثل ويتشبه ان يكون اذا كان الميل
اليهم من هذه الاشياء شيء خيرا كان او شرا ان يكون يسيرا كثير المقدار ما لا يجعل غير السعيد سعيدا ولا ينتزع
السعادة من السعداء فهذا اصل وسط ما ليس بالشك الذي لا مرية فيه **ولما علمنا** ان السعادة من الاشياء
افضلها واجزلها ولعمري اوجب ان يبين بوجه اللذة فيها باتم مما قلنا فيما مضى بل اقتضى ذلك **فنقول** ان اللذة ينقسم
قسمين احدهما اللذة الانفعالية والاخرى اللذة الفعلية واما اللذة الانفعالية فهي شبيهة بالافات واللذة الفعلية
تشبه الافعال وذلك ان كل واحد من اللذة الانفعالية وهي التي يشارك فيها الحيوانات التي ليست بناطق وذلك انها

مقترنة بالشهوات وجهة الانفعال وهي فعلان انفعاليتان البهيميتان واما اللذة الاخرى فهي فاعلة وهي التي يختص
بها الحيوان الناطق ولانها غير جسمانية ولا منفعلة انفعالا بها صارت اللذة تامة وتلك ناقصة وهذه ذاتية وتلك
عرضية والمعنى بالذاتية والعرضية ان اللذات الحسية المقترنة بالشهوات يزول سريعا وينقضي وشيكا بان يتغلب انفعالها
فصير غير لذات بل يصير الما او مكروهة بشعة مستقبحة وهذه اضداد اللذة ومقابلاتها واما اللذة الذاتية
فانها لا تصير في وقت اخر غير لذيذة ولا تنتقل عن حالتها بل هي ثابتة ابدا واذا كانت كذلك فقد صح حكمنا وضح ان
السعيد يكون لذته ذاتية لا عرضية وعقلية لا حسية وفعلية لا انفعالية والهية لا بهيمية ولذلك قال الحكماء
ان اللذة اذا كانت صحيحة سامت البدن من الفضول الى التمام ومن السقم الى الصحة ولذلك ايضا تشوق النفس
الى العلم ومن الرذيلة الى الفضيلة الا ان ههنا سرا ينبغي ان يقف عليه المتعلم وهو ان ميل الطبع الى اللذة الحسية
ميل قوي جدا وشوقها اليها شوق مزعج شديد وليس يزيد العادة في قوة طبع لنا كثير زيادة لفرط ما جبلنا عليه
من المبدإ من القوة والشوق فلذلك متى كانت اللذة حسية قبيحة ثم مال الطبع اليها بافراط والفعل ضعيف
الانسان فيها كل قبيح وهرب على نفسه فيها كل صعب ولم يرتدع الغلط والامكان القبيح حتى يبطل الحكمة فاما اللذة العقلية
الجميلة فامرها بالضد من ذلك ان الطبع يكرهها فان اضطر الانسان اليها لمعرفته وتميزه احتاج فيها الى صبر ومدافعة
حتى اذا استمر فيها وتدرب بها انكشف له حسنها وبهاؤها وصار بالضد مما كان في الحس من رضا يتبين ان الانسان
في ابتداء امره عند ما يحمل الى سياسة الوالدين ثم الى الشريعة الالهية والدين القويم حتى يهذبه ويقومه ثم الى الحكمة البالغة
ليتولى تدبيره الى اخر عمره وقد تبين مع ذلك تعلق السعادة بالحي وذلك اذ قد بينا انها لذة فاعلة ولذة الفاعل ان
يكون في الاعطاء ولذة المنفعل ان يكون في الاخذ وليس يظهر ابدا لذة السعيد الا بابراز فضائله واظهار مكنته
وقدرته في سواسها وكان الكاتب الجيد انما يلتذ باظهار كتابته وكذلك البناء الحاذق اللطيف المرتفع والنجار
فالجملة كل صانع حاذق فاضل في صناعته يسر باظهار فضائله واذاعتها بين اهلها ومستحقيها وهذا هو معنى الجود
وحقيقته الا ان الجود على الاشياء باكرمها افضل واشرف من الجود بادونها وانحسها وقد عرض لهذا الجواد مع شدة
حاجته عند ما عرض لذلك الجواد الاخر مع ندرته وقلته وذلك ان اصحاب الاموال والتصيتها الخارجة بفضل له
بالاخلاق يتنعم بالمنزل ويغني ذخائره بالتبذير واما صاحب السعادة التامة فان اموله لا ينفصل ولا ينفاد بالانفاق

لا يفي في خاتمة بالتبذير بل ينجي تلك مرتبة الاولى الكثير من الاعداء والمحروس سائر السلطان في الرئاسة
من كل قدر والاسبيل الاشارة اليها بوجه ما يناسب مقدار هذه السعادة كيف يكون ومن اين يبتدئ ومن اين ينتهي كيف يكون
السرور الحقيقي واللذة الدائمة **وتبين** ايضا انها ابدية وتامة فهيه وان ضدها الذي هو الشقاوة الذائمة بالضد وعلى
العكس اعني ان اللذائذ كلها عرضية ومستفلة عن طباعها الى ضدها حتى صيرورتها او مكروهة او اخاذ الحية بل شيئا
وغير محمودة بل مذمومة وبين ان يتطرق السعادة هل هي ممدوحة قال ان طائفة قالوا ان الاشياء التي هي في غاية الفضل
لا يجوز مدحها لانها افضل واجل من ان يمدح قال وذلك انا نشتهي الاشياء ونحبها ونجد من الناس الى السعادة ولا نجد
يوجد احد من الناس يمدح السعادة نفسها كما يمدح البذل لكنها يحبها ويكرمها على انه امر الهي والاشياء التي هي
افضل من المدح الله والخير وذلك ان سائر الاشياء الفاضلة انما يمدح بان ينسب الى الله والى الخير وان المدح انما
هو الفضيلة والعمل بها انتهى كلامه هذا الى ان قال فالله تعالى اكرم واشرف من ان يمدح بل انما يحمد ويحب ويعبد
وتقدر محبته كثيرا فاما السعادة فلانها امر الهية فانما يفعل الاشياء كلها لاجلها فمن اجل ذلك وجد فضل هذا الاصل
ينبغي ان لا يمدح السعادة لانها اجل من كل مديح بل يجدها في نفسها بمدح الامور كلها بها ويقدر بسطها

تمت المقالة الثالثة من كتاب تهذيب الاخلاق وهو طهارة النفس

قد قلنا فيما سلف ان السعادة يظهر في الافعال من العدالة والنجاعة والعفة وسائر ما تحت هذه الانواع التي لخصنا
وحددناها وهذه الافعال قد يظهر من ليس بسعيد وكالفضل وذلك انه قد يعمله بعض الناس بحمل العدل وليس بفعال
ويعمل عمل الشجاع وليس بشجاع ويعمل عمل الاعفاء وليس بعفيف ومثال ذلك ان من ترك الشهوات من المآكل و
المشارب وسائر اللذات التي يشاركه فيها غيره اما لا ينتظرها الى الزمان يصيبها واما لانه لم يعرفها واما لا يباشرها كالقرويين
الذين يبعدون عن المدن وكالرعاة في البوادي وقلل الجبال واما لانه استشعر خوفا من بنا وها وكرهها فجعل بينها
واما لامتناع منها فان هؤلاء كلهم يعملون عمل الاعفاء وليسوا باعفاء فان العفيف على الحقيقة من وفى العفة
حدها المذكور فيما تقدم واختارها لنفسها لا لغرض لغير غيرها وانما لانها فضيلة فتناول كل واحد من
شهواته بمقدار الحاجة ومن الوجه الذي ينبغي وعلى الحال التي ينبغي وكذلك حال الذي يعمل عمل الشجاع و
ليس بشجاع وذلك ان من باشر الحرب وأقدم على ركوب الاهوال لبعض ما يحمل اليه بالمال او جاه او رياسة

الرغبات التي لا يحركه فان مثل هذا لا يعمل عمل الشجعان ولكن يعمله بطبيعة الشرة لا بطبيعة الفضيلة التي تدعى
شجاعة وكل من كان اكثر شرها وهما كان اكثر شجاعة وذلك انه يخاطر نفسه الشريفة ويصيرها على المكاره العظيمة طمعا
في المال وما يوصل اليه بالمال وقد رأينا اهل الشطارة يعملون عمل الاعفاء وعمل الشجعان ويرتبعد الناس من كل فضيلة
وذلك انهم يصيرون عن الشهوات كلها ويصيرون على عقوبات السلطان وصرف السياط وتقطيع الاعضاء والجراحات
التي لا بد منها وينتهون فيه الى اقصى الصبر حتى الصلب وشمل العيون وقطع الايدي والارجل وضرب المثل عليها ملازمة
الذكرين قوم في مثل حالهم من سوء الاختيار ونقصان الفضايل وقد يعمل ايضا عمل الشجعان من يخاف لامة عشيرته
او عقوبة سلطانه او خوف سقوط جاهه او ما اشبه ذلك وقد يعمل عمل الشجعان ايضا من اعتق له مرارا كثيرة ان يغلب
اقرانه فهو يقدم ثقة منه بالعادة الجارية وجهلا بمواقع الاتفاقات وقد يعمل عمل الشجعان العشاق وذلك انهم يكونون
الاهوال في طلب المعشوق لرغبتهم في الفجور او لحرصهم على منعة العين منهم لا لطلب الفضيلة ولا لاختيار الموت الجميل على
الحيوة الرديئة كما يفعل الشجاع بالحقيقة فاما شجاعة الاسد والفيل وما شابههما من الحيوان فانه يشبه الشجاعة وليست
شجاعة حقيقة وذلك انها قد وثقت بقوتها وانها يفوق فوق غيرها فهي تقدم لا بطبيعة الشجاعة بل بتمام القدرة
والقوة وثقة النفس بالغلبة وما كان منها سببا فمع هذه الحال بالعلة في السلاح الذي عدمه غيره ويكونون
السلاح منا اذا اقدم على الاعزل وليست هذه شجاعة هذا مع عدم الاختيار الذي يستعمله الشجاع وذلك ان
الشجاع خوفه من الامر القبيح عنده من خوفه من الموت فلذلك يختار الموت الجميل على الحيوة القبيحة على ان لذة الشجاع
ليست تكون في مبادي امور فان مبادي الامور تكون مؤذية له ولكنها تكون في عواقب الامور وايضا باقية
مدة عمره بعد عمره لا سيما اذا حامى عن دينه وعن اعتقاده الصحيح في وحدانية الله عز وجل والشريعة التي هي سياسة الله
وسننه العادلة التي بها مصالح العباد في الدنيا والاخرة فان مثل هذا اذا فكر في قصة مدة وعلم انه لا محالة
سيموت بعد ايام قلايل ثم كان حب الجميل ثابتا على الراي الصحيح فهو لا محالة يحامي عن دينه ويمنع العدو
عن استباحة حريمه والتغلب على مدينته ويانف عن الفرار ويعلم ان الجبان اذا اختار الفرار فانما اختار
شيئا لا محالة فانيا زايلا وان تاخر زايلا ما معدودة ثم هو في هذه الحيوة البسيرة ممقوت مسبوق فكذلك الحيوة
بالذل وضرب الصغار وهذه حالة الشجاع مع قوى نفسه اعني مغلوبة شهواته واستلاذها فان حالة

تلك الحال بعينها واسمع كلام الامام الاجل سلام الله عليه الذى صدر عن حقيقة الشجاعة فانه قال عليه السلام ايها الناس اكرهوا الموت او لا تقتلوا تموتوا والذى نفس ابن ابى طالب عليه السلام بيده لالف ضربة بالسيف على الراس اهون من ميتة على الفراش ومن عرف حق الشجاعة تبين له ان جميع ما احصيناه الان ليس بمعدودة فيها وانما كان يشبهها بالصورة وذلك انه ليس كل من تقدم على الاهوال فهو شجاع ولا كل من نجا من الفضائح فهو شجاع وذلك من لا يفزع من ذكر ما شرفه او فضيحة حرمه او عند حدوث الرجفات والزلازل والصواعق ومن الزمانة فى الامراض او عدم الاخوان والاصدقاء او عند اضطراب البحر وهيج الامواج وهو بينها فهو بان يوصف بالجنون مرة وبالتهمة مرة اولى ممن يوصف بالشجاعة وكذلك من خاطر بنفسه فى وقت الامن والطمانينة بان يثب من سطح عال او يصعد من مرتقى صعب او يحمل نفسه على حوض ماء غزير وهو لا يحسن السباحة او يسير وحيدا هايجا او وعرا صعبا او سيرا لم يرض من غير ضرورة تدعوه الى ذلك بل مراياة بالشجاعة واظهار الرتبة التى ليست له فان مثل هذا بان يسمى مطرقا اولى منه بان يسمى شجاعا فاما من حق نفسه خوفا من الفقر والذل واهلكها بالسيف اشبهه هربا من ضيم يصير اليه فهو بان يوصف بالجبن اولى منه بان يوصف بالشجاعة وذلك ان الاقدام وقع منه بطبيعة الجبن لا بطبيعة الشجاعة فان الشجاع يصبر على ما ياتى عليه من الشدائد صبرا جميلا ويعمل اعمالا يليق بتلك الحال كما ذكرنا فيما تقدم ولذلك يجب ان تعظم الشجاع وتنحو على نفسه وحقيق على السلطان خاصة والقيم بامر الدين والملك ان ينافس فيه ويجعل هذه فى اعلى خطره ويميزه من كل من يتشبه به ممن ذكرناه **فقد تبين** من جميع ما قلناه ان الشجاع هو الذى يستهين بالشدائد فى الامور الجليلة ويصبر على الاموال الهائلة ويستخف بما يستعظمه عوام الناس حتى بالموت لاحتيارا لامر الافضل ولا يحزن على ما لا يدرك فيه ولا يضطرب عند ما يقدح من المصائب ويكون لشهوته اذا غضب بمقدار ما يجب وعلى ما يجب وفى الوقت الذى يجب وكذلك يكون انتقامه على هذه الشرائط قال الحكماء قالت ان من لا ينتقم لحقد ذل واذا انتقم عادل فى مخالفته من الشارع وهذا الانتقام اذا كان بحسب الشجاعة كان محمودا واذا لم يكن كذلك كان مذموما **وقد نقل** ان من الاخبار المانورة عمن اقدر عن سلطان قوى كاد ان يتسلم منه فاهلك نفسه من غير ان يضر سلطانه وايات كثيرة وكل حال من اقدم على قرن او خصم الذى لا يستطيع مقاومته فان الانتقام منه يعود بالاحلية وزيادة فى الذل والحقرة

المجرة فاذن ليس يتم شرائط الشجاعة والعفة الا الحكيم الذى يستعمل كلتى قوتيه الخاصتين وبقدر قسط العقل له فكل شجاع عفيف فهو حكيم فكل حكيم شجاع فهو عفيف وهذه الحال بعينها يظهر فيمن يعمل عمل الاسخياء وليس يسخى وذلك ان من يبذل ماله فى سهولة اوطلبا للسمعة والرياء وتقربا الى السلطان او لدفع مضرة عن نفسه وحرمة اولاده اويبذلها لمن لا يستحق من اهل الشراب والملهين والمشاجرة ويبذلها للطمع فى اكثر منها على سبيل التجارة والمرابحة فكل هؤلاء يعمل عمل الاسخياء وليس يسخى ما بعضهم فيبذل ما لهم بطبيعة الشرة واما بعضهم فبطبيعة الطيش والرياء واما بعضهم فعلى طريق الازدياد من المال والربح فيه واما بعضهم فعلى سبيل التبذير وقلة التفرقة بقدر المال وهذا اكثر ما يعرض للوارث ومن لا يتعب بالكتساب لمال ولا يعرف صعوبة الامر فيه وذلك ان المال صعب الكتساب سهل الانفاق وقد شبه الحكماء لمن يرتحل ثقيلا الى قلة جبل ثم يرسله فان الامر فيه واصعاه صعب وكل ارساله من هناك امر سهل والحاجة الى المال ضرورية فى العيش وهو نافع فى اظهار الحكمة والفضيلة ومن اكتسبه من وجهه صعب عليه وذلك ان الكاسب الجميلة قليلة وجوهها يسيرة عند الرجل العادل الحرفا ما غير العادل فليس يبالى كيف اكتسبه ومن اين وصل اليه ولاجل ذلك يوجد كثير من الاحرار الفضلاء ناقصى الحظ منه وربما وجد ايضا ذا ماين المحتالين منه فاما اصدادهم فلاجل انهم يكتسبون المال من وجوه الخيانات ولا يبالون كيف وصلوا اليه فانهم يوجدون ابدا واوفى الحظ منه واسعى لمنفقات شاكرين بحوتهم والعامة يغبطونهم ويحسدونهم والرجل العاقل اذا رأى نفسه وهو برئ من الديانات فى العوض من السوقات لم يتدلس بالقبيح من المكاسب ولم يتطرق اليه بخيانة ولا سرقة ولا ظلم لمن هو دونه ومثله ويجتنبه وجوه العادة والقضائح كالقيادة والخداع وترويج السلع القبيحة على العلوك واستئثارهم عن امواله بالخدع والمكر ومساعدتهم على الفواحش وتحسين القبائح مما يوافقهم هو ما يجرى مجرى ذلك من الشتائم والنميمة والغيبة وضروب الفسق التى يكتسبها امثال المال من غير وجهه من ضروب المغانبا ووجوه الظلم ليسر نفسه وتعياض من المال الراحة والمحمدة فلا يلوم البخت ولا يبغض الدول ولا يحسد اصحاب الاموال المكتسبة من غير وجوهها الجميلة فهذه احوال المكتسبين للاموال ومنفقيها وكذلك حال من عمل عمل العادل وليس بعادل وذلك انه اذا عدل فى بعض الامور مرايا ان يصل به الى كرامة او مال او غير ذلك من الشهوات والاعراض مما عددناه فيما تقدم فليس هو عادلا وانما يعمل اعمال العادل للغرض الذى يقصده فيسبغى

ان ينسب فعله الى غرضه فانه بحسب هذا يفعل ذلك كما قدناه وشرحناه فاما العادل بالحقيقة فهو الذي يعدل افعاله واحواله كلها حتى لا يزيد بعضه على بعض شيء من ذلك فيما خارج عنه من المعاملات والكرامات ويقصد في جميع ذلك فضيلة العدالة نفسها لا غرضا اخر سواها وانما يتم له ذلك اذا كانت له هيئة نفسانية ادبية يصدر عنها افعاله كلها بحسبها ولما كانت العدالة توسطا بين اطراف وهيئة يقتدر بها على رد الزائد والناقص اليه صارت لتم الفضائل او اشبهها بالتعديل واعني بذلك ان الوحدة هي التي لها الشرف الاصلي والرتبة الاقصى وكل كثرة لا ينظمها معنى يوحدها فلا اقوام لها ولا ثبات والزيادة والنقصان والكثرة والقلة هي التي لفساد الاشياء اذا لم يكن بينها مناسبة يحفظ عليها الاعتدال بوجه ما والاعتدال هو الذي يرد اليها اصل الوحدة ومعناها وهو الذي يلبسها شرف الوحدة ويزيل عنها رذيلة الكثرة والتفاوت والاضطراب الذي لا يحد ولا ينضبط بالمساواة التي هي خليقة الوحدة في جميع الكثرات واشتقاق هذا الاسم بذلك على معناه ان العدل في الاجسام والاعتدال في الانفعال والعدل في الافعال مشتقة من معنى المساواة والمساواة هي اشرف النسب المذكورة في صناعة الموسيقى وغيرها ولذلك لا ينقسم ولا يوجد لها انواع وانما هي وحدة في معناها اوظل للوحدة فاذا تم بعد المساواة التي هي المثل بالحقيقة في الكثرة عدلنا الى النسب المذكورة التي يخيل اليها ويعدل الى حقيقتها وذلك انا حينئذ نضطر الى ان نقول لنسبة هذا الى هذا كنسبة هذا الى هذا ولهذا لا يوجد النسب الا بين اربعة او ثلاثة يتكرر فيها الوسط فصير ايضا اربعة والنسبة الاولى تسمى منفصلة والثانية لتسم متصلة ومثال الاولى انا ناخذ الاولى اربعة فنقول لنسبة ا الى ب كنسبة ح الى د فهذه النسبة منفصلة ومثال الثانية ان ناخذ الباء مشتركا فنقول لنسبة ا الى ب كنسبة ب الى ح وهذه النسبة يوجد في ثلثة اشياء وهي النسبة العددية والنسبة المساحية والنسبة التاليفية وجميع ذلك مبين مشروح في المختصر الذي عملناه في صناعة الارثماطيقى فاما سائر النسب فلحاجتها اليها ولذلك عظمها الاوائل واستخرجوا لها وبها العلوم الجمة الشريفة ولما كانت نسبة المساواة عزيزة الانتظام الوحدة عدلنا الى حفظ هذه النسب الاخيرة في الامور الكثيرة التي يلابسها الانتفاع عايدة اليها وغير خارجة عنها فنقول ان العدالة الحاجة عنا عزيزة في قسمة الاموال والكرامات والثاني في قسمة المعاملات الارادية كالبيع والشرى والمعاوضات والثالث في تصحيح الاشياء التي وقع فيها ظلم بعد واما العدل في الامور التي يكون في القسم الاول فيكون بالنسبة المنفصلة التي بين الاربعة اعني ان يكون لنسبة الاولى الى الثاني كنسبة الثالث الى الرابع مثال ذلك ان يقال ان نسبة ميزان

الانسان الى هذه الكرامة اولى هذا المال كنسبة كل من كان فى مثل مرتبته الى مثل قسطه فاذن يجب ان توفر عليه ويسلم له فاما انا فى الامور التى تكون فى القسم الثانى اعنى المعاملات فيكون بالنسبة المنفصلة مرة وبالنسبة المتصلة اخرى مثال ذلك ان نقول ان نسبة هذا البزاز الى هذا الاسكاف كنسبة هذا الثوب الى هذا الخف فليس يمنع مانع ان نقول ان نسبة البزاز الى الاسكاف كنسبة الاسكاف الى البزاز او نقول نسبة الثوب الى الخف كنسبة الخف الى الثوب **ويتبين** لك من هذين المثالين ان النسبة الاولى تكون بالعمق فقط والنسبة الثانية بالعرض والعمق جميعا ان الاولى تقع بين الكليين والجزئيين فهى بالعمق اشبه وذلك ان الانسان متى كان على نسبة من انسان اخر فبطل هذه النسبة بحيف وضر يلحقه به فان العدالة توجب ان يلحق به ضرر مثله ليعود التناسب الى ما كان عليه فالعادل من شأنه ان يسوى بين الاشياء غير المتساوية مثال ذلك ان الخط اذا انقسم بقسمين غير متساويين بين نقص من الزائد وزاد على الناقص حتى يحصل له التساوى ويذهب عنه معنى القلة والكثرة ومعنى الزيادة والنقصان وكذلك الخفة والثقل وجميع ما اشبه ذلك ولكن ينبغى ان يكون عالما بطبيعة الوسط حتى يرد الطرفين اليه مثال ذلك الربح والخسران فانهما فى باب المعاملة طرفان احدهما زيادة والاخر نقصان فان اخذ اقل ما يجب صار الى جانب النقصان وان اخذ اكثر ما يجب كان خارجا الى جانب الزيادة والشريعة هى التى توسم فى كل واحد من هذه الاشياء التوسط والاعتدال وكان الناس مرة يتعاونون بالطبع ولا يتم عيش الا بالتعاون فبعضهم يحب ان يخدم بعضا ويأخذ بعضهم من بعض ما يحتاجون اليه وبعضهم يبيع بعضا ما عنده ويطلبون المكافاة على المناسبة فاذا اخذ الاسكاف من البزاز عمله واعطاه عمله فهى المعارضة اذا كان العملان متساويين ولكن ليس يمنع مانع ان يكون عمل الواحد خيرا من عمل الاخر فيكون الدينار بين القوم والحاكم بينهما فالدينار هو عدل ومتوسط لانه سالك والانسان الناطق هو الذى مستعمل ويقوم به جميع الامور التى تكون بالمعاملات حتى تجرى على استقامة ونظام ومناسبة صحيحة عادلة فلذلك يستعان بالحاكم الذى هو عدل ناطق اذ لم يستقم الامر بين الخصمين بالدينار الذى هو عدل سالك وارسطو يقول ان الدينار ناموس عادل ومعنى الناموس فى لغة السياسة والتدبير وما اشبه ذلك فهو يقول فى كتابه المعروف بنقوماخيا ان الناموس هو الكبير هو من عند الله تبارك وتعالى والحاكم ناموس ثان من قبله الدينار ناموس ثالث فناموس الله تعالى قدوة الناموسين يعنى الشريعة والحاكم الثانى فى تقديره والدينار يقيد ثالث

وانما قومت الاشياء المختلفة بالانسان المختلفة ليصح الشاركات والمعاملات **وتبين** حد الاخذ والاعطاء الذي
هو الذي يساوي بين المختلفات ويزيد في شيء وينقص من آخر حتى يحصل بينهما الاعتدال فيستوي المعاملة بين الفلاح والنجار
مثلا وهذا هو العدل المدني وبالعدل المدني عمرت المدن وبالجور المدني خربت المدن وليس يمنع مانع من ان يكون عمل
يسير يساوي عملا كثيرا ومثال ذلك ان المهندس ينظر نظرا قليلا ويعمل عملا يسيرا يساوي نظره هذا اعمالا كثيرة من
اقوام يكدون بين يديه ويعملون ما يرسم وكذلك جيش الجيش يكون تدبيره ونظره يسيرا ولكنه يساوي اعمالا كثيرة يعملها
بين يديه ويعمل الاعمال الثقيلة العظيمة فالجابر يعطل المساوي وهو عند ارسطاطاليس على ثلاث مراتب فالجابر
الاعظم هو الذي لا يقبل الشريعة ولا يدخل تحتها والجابر الثاني هو الذي لا يقبل قول الحاكم العادل في معاملاته و
امره كلها والجابر الثالث هو الذي لا يكتسب ويغصب الاموال فيعطي نفسه اكثر مما يجب وغيره اقل مما يجب له قال
فالمتمسك بالشريعة يعمل بطبيعة المساواة فيكتسب الخير والسعادة من وجوه العدالات لان الشريعة تامر بالاشياء الجميلة الا فاضلة
من غيرها من وجوه فلا تامر الا بالخير ولا الا بالاشياء التي تفعل السعادة وهي ايضا تنهى عن الرذائل البدنية وتامر ايضا بالنجاعة و
حفظ الترتيب والثبات في مضاء الجهاد وتامر بالعفة وتنهى عن الفسق والافتراء والشتم والهجر بالجملة تامر بجميع الفضايل وتنهى عن
جميع الرذايل فالعدالة يستعمل العدالة في ذاته وشركائه المدنيين والجابر يستعمل الجور في ذاته وفي اصدقائه وينتهم وجميع شركائه
المدنيين قال وليست العدالة جزءا من الفضيلة بل هي الفضيلة كلها ولا الجور الذي هو ضدها جزءا من الرذيلة لكنها
الرذيلة كلها فبعض انواع الجور ظاهر يفعل بالارادة مثل ما يكون في البيع والشرى والكفالات والقرض والعواري
وبعضها خفي يفعل ايضا بالارادة مثل السرقة والفجور ومثل القيادة وخداع المماليك وشهادة الزور وبعضها غشي
على سبيل الغلبة مثل التغلب بالدهن والقيء والاغلال والقرية فالامام العادل الحاكم بالشريعة يبطل هذه
الانواع يخالف صاحب الشريعة في حفظ المساواة فهو لا يعطي ذاته من الخيرات اكثر مما يعطي غيره ولذلك قيل في الخبر
ان الخلافة تطهر الانسان قال فاما العامة فانها يوهل مرتبة الامامة اعني الخلافة من كان شريفا
في جنسه ونسبه وبعضهم يوهل لذلك من كان حكيما فاضلا فان الحكمة والفضيلة هي التي تعطي الانسان
الرياسات والسياسات الحقيقية وهي التي رتبت الاول والثاني في مرتبتها فضيلتها ولسبب الفضيلات كلها
تنقسم الى اربعة انواع احدها الشهوي ويتبعها الوداعة والثاني الشراسة ويتبعها الجور والثالث الخطاء

الخطاء وبقيها الحزن والرابع الشقاء وبتبعه جميع ما فيه مضرة واما الشهوة فانها تحمل الانسان على الاضرار بغيره الا انه لا يكون مؤثرا له ولا ملتذا به ولكنه يفعله ليصل الى شهوته وربما كان متالما به كارها له الا ان قوة الشهوة تحمله على ارتكاب ما يرتكب واما الشر فانه يتعمد الاضرار بغيره على سبيل الايثار له والالتذاذ به كمن يسعى الى السلطان ويحمله الى ازالة نعمة لا يصل اليه منها شئ لكن يتلذذ بالمكروه الذى يصل الى غيره واما الخطاء فان صاحبه يتعمد الاضرار بغيره ولا يؤثره ولا يلتذ به بل يتعمد فعلا ما فيعرض منه فعل اخر وصاحب الفعل يحزن ويكتسب الما تفق عليه من الخطاء واما الشقاء فصاحبه لا يكون مبدأ فعله ولا له فيه صنع بالقصد لكن يوقعه فيه سبب اجنبى من خارج وذلك كمن يصدم به دابته المراد صيدها فيقتله او يرمى بسهم الى صيد فيصيب ولده فهذا ليس شقيا وهو مرحوم معذور لا يجب عليه عتب ولا عقوبة فاما السكران والمغضبان والغيران اذا فعلوا فعلا قبيحا فانهم يستحقون العتب والعقوبة لان مبدأ فعلهم اليهم وذلك ان السكران يختار ازالة عقله والغضبان والغيران يختاران الانقياد لهاتين القوتين اذا هاجتا به ونعود الى ما كنا فيه من ذكر العدالة **فنقول** ان ارسطو قسم العدالة الى ثلثة اقسام احدها ما يقوم به الناس لرب العالمين وهو ان يجرى الانسان فيما بينه وبين الخالق عز وجل على ما ينبغى وبحسب ما يجب وكما يجب عليه من حقه وبقدر طاقته وذلك ان العدل اذا كان هو اعطاء من يجب كما يجب فمن المحال ان لا يكون لله تعالى الذى وهب لنا هذه الخيرات العظيمة واجب ينبغى ان يقوم به الناس والثانى ما يقوم به بعض الناس لبعض من اداء الحقوق وتعظيم الرؤساء وتادية الامانات والنصفة فى المعاملات والثالث ما يقومون به من حقوق اسلافهم مثل اداء الديون عنهم وانفاذ وصاياهم وما اشبه ذلك فهذا ما قاله ارسطو ليس فى تحقيق ما قاله مما يجب لله عز وجل وانكان ظاهرا فانا نقول فيه ما يليق بهذا الموضع وهو ان العدالة لما كانت يظهر فى الاخذ والاعطاء وفى الكرامات التى ذكرناها وجب ان يكون لما يصل الينا من عطيات الخالق عز وجل ونعمه التى لا تحصى حق نقابل عليه وذلك ان من اعطى خيرا ما وانكان قليلا ثم يرى ان تقابله بضرب من المعاملة فرحا بما اتى به اذا اعطى جما كثيرا ولهذا اذا اتاك ثم لم يعط فى مقابلته شيئا البتة نزعل قدر النعمة التى يصل الى الانسان يجب ان يكون اجتهاده فى المقابلة عليها ومثال ذلك ان الملك الفاضل اذا امن السرب وبسط العدل

واوسع العمارة وحمى الحريم وذب عن الحوزة ومنع من الظلم ووفر الناس على ما يختار من مصالحهم ومعايشهم فقد
احسن الى كل واحد من رعيته احسانا يخصه فى نفسه وان كان قد عمهم بالجود استحق من كل واحد منهم ان يقابله
ضربا من المعاملة متى فقد كان جابرا اذ كان يأخذ نعمته ولا يعطيه شيئا لكن مقابلة الملك من جهة رعيته انما يكون
باخلاص الدعاء ونشر المحاسن وجميل الشكر وبذل الطاعة وترك المخالفة فى السر والعلانية والمحبة الصادقة واتمام
سيئته بحسب استطاعته والاقتداء به فى تدبير منزله واهله وولده وعشيرته فان نسبة الملك الى مدينته ورعيته
كنسبة صاحب المنزل الى منزله واهله فمن لا يقابل ذلك الاحسان بهذه الطاعة والمحبة فقد جار وظلم وهذا
الجور والظلم انما كان فى مقابلة النعم الكثيرة الفخش وقبح وغلظ ان الظلم وان كان فى نفسه قبيحا فان مرتبته
كثيرة لان مقابلة كل نعمة انما يكون بحسب مبلغها من قبحها وتعدد فايدتها وعايدتها وعلى مقدار عددها فان كانت
النعم كثيرة العدد عظيمة الموقع فكيف يكون حال من لا يلتزم لها حقا ولا يرى عليها مقابلة بطاعة ولا شكر ولا
محبة صادقة ولا مساعاة صالحة واذا كان هذا معروفا منكرا واجبا غير مجحود فى ملوكنا ورؤسائنا فكم يلحرى ان يكون
لملك الملوك الذى يصل الينا فى كل يوم بل فى كل طرفة عين ضروب احسانه الفائض على اجسامنا ونفوسنا الخ
لا يقع عليها احصاء ولا عدد من الحقوق الواجب علينا القيام بها والنهوض بتاديتها اثر ما يحصل النعمة الاولى علينا
بالوجود ثم تربيتا بها متواترة بعد ذلك بالخلق الجسدانى الذى افنى فيه صاحب كتاب التشريح ومنافع الاعضاء نحو
الف ورقة ثم لم يبلغ بعض ما عليه كنه الامر انا نجهل ما وهب لنا من نفوسنا وما ركب فيها من القوى والملكات
التى لا نهاية لها وما امدها من فيض العقل ونوره وبهائه وبركاته وما عرضنا به للملك الابدى والنعيم
السرمدى لا نعرى ما نجهل هذه النعم الا المنعم فاما الانسان فيعرف من ذلك ما يخطر اليه مشاهدة
الخيال فى جميع اوقاته واذا كان الخالق تعالى غنيا من معرفتنا ومساعينا فمن المحال القبيح والجور الفاحش
ان لا نلتزم نحن له حقا ولا نقابله على هذه الالاء والنعم بما نزيل عنا سمة الجور والخروج عن شريطة العدل
الا ان ارسطاطاليس فى هذا الموضع لم ينص على العبادة التى يجب ان يلتزمها المخلوق عز وجل غير انه قال
ما هذه حكاية وقد اختلف الناس فيما ينبغى ان يقوم به المخلوقون لخالقهم تعالى جل فبعضهم
راى انه صلوات وصيام وخدمة هياكل ومصليات وقرابين وبعضهم راى ان يقتضى على

على الاقرار بربوبيته والاعتراف باحسانه وتمجيده بحسب استطاعته وبعضهم راى ان يتقرب اليه بان يحسن الى نفسه بتزكيتها وحسن سياستها والاحسان الى المستحقين من اهل نوعه بالمواساة ثم بالحكمة والموعظة وبعضهم راى ان اللجج بالفكر فى الالهيات والتضرع فى المعاملات التى يتزيد بها الانسان من معرفة ربه عز وجل حتى يتكامل به معرفته به وبحقيقة وحدانيته وصرف الوكد اليه وهو ما يجب على الانسان لخالقه عز وجل وبعضهم راى ان الواجب لله عز وجل على الناس ليس سبيله واحدا ولا هو شئ بعينه يلتزمه الجميع التزاما واحدا وعلى مثال واحد ولكنه يختلف بحسب اختلاف طبقات الناس ومراتبهم من العلم فهذا ما قاله ارسطاطاليس بالفاظه المنقولة الى العربية فاما ما قاله الخدب من الفلاسفة فانهم قالوا عبادة الله عز وجل فى ثلثة انواع احدها فيما يجب له على الابدان كالصلوة والصيام والسعى الى المواقف الشريفة لمناجاة الله عز وجل والثانى فيما يجب له على النفوس كالاعتقادات الصحيحة مثل العلم بتوحيد الله تعالى وما يستحقه من الثناء والمجد وكالفكر فيما افاضه الله على العلم من وجوده وحكمته ثم الاتساع فى هذه المعارف والثالث فيما يجب عنده مشاركة الناس فى المدن وهى فى المعاملات والمزارعات والمناكح وفى تادية الامانات ونصيحة البعض للبعض بضروب المعاونات وعند جهاد الاعداء والذب عن الحريم وحماية الجوار قالوا فهذه العبادات هى الطرق المؤدية الى الله عز وجل وهى التى تجعله على عباده وقال اخرون عبادة الله فى ثلاث وهى الاعتقاد الحق وقول الصواب والعمل الصالح ثم ان العمل ينقسم الى البدن كالصيام والصلوة والى ما هو خارج عن البدن كالمعاملات والجهاد ثم ان المعاملات ينقسم الى المعاوضات والمناكح والمعاونات وهذه الانواع وان كانت معدودة محصورة فانها منقسمة الى انواع كثيرة واقسام غير محصاة والانسان فيها مقامات ومنازل عند الله فالمقام الاول للموقنين وهو رتبة الحكماء واجلة العلماء والمقام الثانى هو مقام المحسنين وهو رتبة الذين يعملون ما يعلمون وهو ما ذكرناه فى كتابنا هذا من الفضائل والعمل بها والمقام الثالث مقام الابرار وهو رتبة الصالحين وهولاء هم خلفاء الله عز وجل بالحقيقة فى اصلاح العباد والبلاد والمقام الرابع مقام الفائزين وهو رتبة المخلصين فى المحبة واليها ينتهى رتبة الاتحاد وليس بعدها منزلة ولا مقام لمخلوق ولسعد الانسان بهذه

المنازل اذا حصلت له اربع خلال اولها الحرص والنشاط والثانى العلوم الحقيقية والمعارف اليقينية والثالث
الحياء من الجهل ونقصان القوة الجهلية اللذين يحدثان بالاهمال والرابع هذه الفضايل والترقى فيها دائما بحسب استطاعة
فهذه اسباب الاتصال وههنا انقطاعات عن الله عز وجل ومسافطة وهى التى يعبر باللعابين فاولها السقوط الذى يستحق
به الاعراض ويتبعه الاستهانة والثانى السقوط الذى يستحق به الحجاب ويتبعه الاستخفاف والثالث السقوط الذى يستحق
به الطرد ويتبعه المقت والرابع السقوط الذى يستحق به الحسرة ويتبعه البغض وانما يشقى العباد اذا حصل على اربع
خلال اولها الكسل والبطالة ويتبعهما ضياع الزمان وفناء العمر بغير فائدة الثانية الغباوة والجهل
المتولدان عن ترك النظر ورياضة النفس بالتعاليم التى احصيناها فى كتاب ترتيب السعادات والثالثة الوقاحة التى ينتجها
اهمال النفس اذا تتبعت الشهوات وترك ذمها عن ركوب الخطايا والسيئات والرابعة الانهماك الذى يحدث عن
الاستمرار فى القبائح وترك الابانة وهذه الانواع الاربعة مسماة فى الشريعة باربعة اسماء فالاول هو الزيغ والثانى
هو المرض والثالث هو العشاوة والرابع هو الختم والكل واحدة من هذه الشقاوات علاج خاص سنذكره عند مداواة
اسقام النفس حتى تعود الى الصحة باذن الله عز وجل وهذه الاشياء التى عددناها الان لا خلاف بين الحكماء
فيها وبين اصحاب الشرائع وانما يختلف بالعبارات والاشارات اليها بحسب اللغات وافلاطن يقول ان العدالة
اذا حصلت للانسان اشرق بها كل واحد من اجزاء النفس حتى كل واحد منها وذلك بحصول فضائلها اجمع فيها
فحينئذ ينهض النفس فيقوى فعلها الخاص بها على افضل ما يكون وهذه غاية قرب الانسان السعيد من الله تقدس
اسمه قال والعدالة توسط ليس على جهة التوسط الذى فى الفضايل التى تقدم ذكرها لكن لانه فى الوسط
الجور فى الطرفين وانما صار الجور فى الطرفين لانه زيادة ونقصان معا وذلك ان من شان الجور طلب الزيادة
والنقصان معا اما الزيادة فمن النافع على الاطلاق واما النقصان فمن الضار فلذلك يكون الجائر مستعملا
للزيادة والنقصان معا اما لنفسه فيستعمل الزيادة فى النافع واما لغيره فيستعمل النقصان منه واما فى الضار
فبالضد وعلى العكس وذلك انه اما لنفسه فيستعمل النقصان واما لغيره فيستعمل الزيادة فالفضايل التى قلنا انها
اوساط بين الرذايل هى غايات وغايات وذلك ان الوسط يضاف غاية لما من كل جهة فهو فى غاية البعد
منها ولذلك من بعد من الوسط زيادة بعد قرب من رذيلة كما قلنا فيما تقدم فقد تبين من جميع ما

ما قدمنا ان الفضائل كلها اعتدالات وان العدالة اسم يشملها ويعمها كلها وان الشريعة انما كانت تقدر الافعال الارادية التي يقع بالرؤية وبالوضع الا فهو صار المتمسك بها في معاملاته عدلا والمخالف لها جائرا فلذا قلنا ان العدالة تغلب التمسك بالشريعة الا انا قد قلنا مع ذلك انها هيئة نفسانية يصدر عنها هذه الفضيلة فتصور هذه الهيئة النفسانية فانك ستري رؤية واضحة ان صاحبها ينقاد لاحالة للشريعة طوعا ولانضادها بنوع من انواع التضاد وذلك انه اذا حافظ على المناسبات التي ذكرناها لانها مساواة وايثارها على الحالة الرأي فيها على سبيل الاختيار لها والرغبة فيها وجبت عليه موافقة الشريعة وترك مخالفتها واقل ما يكون المساواة بين اثنين ولكنها يكون في معاملة مشتركة بينهما وهو الشئ الثالث وربما كان شيئين كما قلنا بسبب المناسبات بين اربعة كما قلنا وينبغي ان يعلم هذه الهيئة النفسانية غير الفعل وغير المعرفة وغير القوة اما الفعل فلانا قد بينا انه قد لا يقع عن هيئة نفسانية كمن يعمل اعمال العدالة وليس بعادل وكمن يعمل اعمال الشجاعة وليس بشجاع واما القوة والمعرفة فلان كل واحدة منهما هي بعينها للضدين معا فان العلم بالضدين واحد وكذلك القوة على الضدين قوة واحدة فاما الهيئة القابلة لاحد الضدين فهي غير الهيئة القابلة لضد الاخر ومثال ذلك هيئة الشجاع فانها غير هيئة الجبان وكذلك هيئة العفة غير هيئة الشره وهيئة العدالة غير هيئة الجور ثم ان العدالة والحرية يشتركان في باب المعاملات والاخذ والاعطاء الا ان العدالة يقع في اكتساب المال على الشرائط التي قدمنا القول فيها والحرية يقع في انفاق المال على الشرائط التي ذكرناها ايضا ومن شأن من يكتسب ان ياخذ فهو بالمنفعل اشبه ومن شان المنفق ان يعطي فهو بالفاعل اشبه فلذلك العلة يكون محبة الناس للجواد اشد من محبتهم للعادل الا ان نظام العالم بالعدالة اكثر منه بالحرية وخاصية الفضيلة هي في فعل الخير لا في ترك الشر وخاصية محبة الناس وحمدهم في بذل المعروف لا في جميع المال فالحر لا يكرم المال ولا يجمعه لذاته بل لتصرفه في وجوهه التي يكتسب بها الحامد والمحامد ومن خاصيته ان لا يكون كثير المال لانه منفاق ولا يكون ايضا فقيرا لانه كسوب من حيث ينبغي وهو غير مسئول عن الكسب الا نادرا لانه بالمال يصل الى فضيلة الحرية ولذلك لا يضيع المال ولا يستعمل فيه التبذير ولا ايضا التقتير به فلا يستعمل التقتير فكل جواد عادل وليس كل عادل جوادا وفي هذا الموضع مسئلة عويصة سأل عنها الحكماء انفسهم واجابوا عنها بجواب مقنع ويمكن ان يجاب فيه بجواب اخر هو اشد اقناعا ويجب ان نذكر الجميع وهو ان يقال

ان يشاء فنقول اذا كانت العدالة فعلا اختياريا يتعاطاها العادل ويقصد بها تحصيل الفضيلة لنفسه والحمدة من الناس
فيجب ان يكون الجور فعلا اختياريا يتعاطاه الجائر ويقصد به تحصيل الرذيلة ومذمة الناس ومن القبيح الشنيع ان يظن
بالانسان العاقل انه يقصد الاضرار بنفسه بعد الروية وعلى سبيل الاختيار ثم اجابوا عن ذلك وحلوا هذا الشك بأن
قالوا ان من ارتكب فعلا يؤدي به الى ضرر وعذاب فانه يكون ظالما لنفسه وضار الها من حيث يقدر ان ينفعها وذلك
لسوء اختياره وترك مشاورة العقل فيه ومثال ذلك الحاسد فانه ربما جنى على نفسه لتحصيل الاضرار بنفسه بل لانه
يظن انه ينفعها بالعاجل في الخلاص من الاذى الذي يلحقه من الحسد فهذا جواب القوم فاما الجواب الاخر فهو ان
الانسان لما كان ذا قوى كثيرة يسمى مجموعها انسانا واحدا لم ينكر ان يصدر عنه افعال مختلفة بحسب تلك القوى
وانما النكير ان يكون الشيء الواحد البسيط ذا قوة واحدة يقع بتلك القوة افعال مختلفة لا بحسب الآلات المختلفة ولا
بقدر المقابلات منه بل بتلك القوة الواحدة فقط فهذا الذي منكر مشنع ولكن الانسان قد تبين من حاله ان له
قوى كثيرة يفعل بكل قوة منها فعلا مخالفا للفعل الاخر اعني ان صاحب الغضب اذا استنشاط يختار افعالا مخالفة لافعال اذا
كان ساكنا واديعا وكذلك صاحب الشهوة الغالبة وصاحب النشوة الطروب فان من شان هؤلاء ان يستحوذ
العقل الشريف في تلك الحال ولا يستبشره وكذلك بعد العاقل اذا تغيرت احواله تلك فصار من الغضب الى الفرح
ومن السكر الى الافاقة تعجب من نفسه وقال ليت شعري كيف اخترت تلك الافعال القبيحة فيلحقه الندم وانما
ذلك لان القوة التي يهيج به تدعوه الى ارتكاب فعل يظنه في تلك الحال صالحا له جميلا به لتميم بحركة القوة الغالبة
فاذا سكن عنها ورجع عقله ورأى قبح ذلك الفعل وفساده وقوى الانسان التي تدعوه الى ضروب الشهوات ومحبة
الكرامات التي لا يستحقها كثيرة جدا فهو بحسب قوة الكثيرة يكون افعاله كثيرة فاذا تعود الانسان ان يكون لبيرته
فاضلة ولم يقدم على شيء من افعاله الا بعد مطالعة العقل الصريح وبعد مراعاة الشريعة القويمة كانت افعاله
كلها منتظمة غير مختلفة ولا خارجة عن سنن العدل اعني للمساواة التي قدمنا القول فيها ولهذا السبب قلنا
ان السعيد هو من اتفق له في صباه ان يأنس بالشريعة وليستسلم لها ويتعود جميع ما تأمر به حتى اذا بلغ مبلغ الذكر
تمكنه معه ان يعرف الاسباب والعلل لجامع الحكمة فوجدها موافقة لما تقدمت عادته به فاستحكم رأيه وقويت
بصيرته ونفذت عزيمته وههنا مسئلة عويصة اشد من الاولى وهو ان التفضل بجود جدا وليس يقع تحت

تحت العدالة لان العدالة كما ذكرنا مساواة والتفضل زيادة وقد حكمنا ان العدالة تجمع الفضايل كلها ولا مزيد
عليها بل يجب ان يكون الزيادة عليها مذمومة كما ان النقصان عنها مذموم ليكون شرف الوسط الذى تقدم وصفه
فى سائر الاخلاق خاصة للعدالة فالجواب عنها ان التفضل احتياط يقع من صاحبها فى العدالة ليأمن من وقوع النقص
فى شئ من شرائطها وليس الوسط فى كل طرفين من الاخلاق على شريطة واحدة وذلك ان الزيادة فى باب السخا
انما تخرج الى التبذير احسن من النقصان عنه واشبه بالمحافظة على شرائطه حتى يصير كالاحتياط عليه فاما
العفة فان النقصان من الوسط فيها احسن من الزيادة عليه واشبه بالمحافظة على شرايطه وابلغ فى الاحتياط عليه و
اخذ الحزم فيه ومع ذلك فليس يستعمل التفضل الا حيث يستعمل العدالة اعنى بذلك ان من اعطى ماله من لا يستحق شيئا منه و ترك
مساواة من يستحقه لا يسمى متفضلا بل مضيعا وانما يكون متفضلا اذا اعطى من يستحق كلما يستحق ثم زاد تفضلا وهذه الزيادة
ليست من الزيادة التى ذكرناها فى باب السخا لان تلك الزيادة ذهاب الى الطرف الذى يسمى تبذيرا وهو مذموم
ويعرف ذلك من وجدها وهو بذل ما لا ينبغى لمن يبذل على الوجه الذى لا ينبغى فاذن التفضل غير خارج عن شرط
العدالة بل هو محتاط عليها ولذلك قيل ان المتفضل اشرف من العادل فقد بان ان التفضل غير العدالة بل هو العدالة
مع الاحتياط فيها وكانه مبالغة لا يخرجها عن معناها لان هذه الهيئة النفسانية ليست غير تلك الهيئة بل هى هى
فاما الاطراف التى هى رذايل اعنى الزيادة والنقصان التى سبق القول فيها فى كلها هيئات مذمومة غير الهيئة المحمودة وقد
هذه الاشياء هى التى يحصل لك معانيها ومشاركة بعضها البعض وتشابه بعضها البعض ايضا فان الشريعة تامر بالعدالة امرا كليا وليس
يخط الى الجزئيات واعنى بذلك ان العدالة التى هى المساواة تكون مرة فى باب الكم ومرة فى باب الكيف
وفى سائر المقولات وبيان ذلك ان نسبة الماء الى الهواء مثلا ليست تكون بالكمية بل بالكيفية ولو كانت
بالكمية لوجب ان يكونا متساويين فى المساحة ولو كانا كذلك لتقابلا واحال احدهما الاخر الى ذاته
وكذلك النار والهواء ولو احالت هذه العناصر بعضها بعضا لفنى العالم فى اوجى مدة ولكن البارى تقدس اسمه
عدل بين هذه بالقوة فقاومت فليس يغلب احدهما الاخر بالكلية وانما يحيل الجزء منها الجزء فى الاطراف
اعنى حيث يلتقى نهاياتها فاما كليا تهما فلا تقدر على كليا تهما لان قواها متساوية متعادلة على غاية
السوية والتعادل وبهذا النوع من العدل قال عليه السلام بالعدل قامت السموات والارض ولو رجح احدهما

على الاخر بزيادة يسيرة لاحال الزايد الناقص وقوى عليه بفضل العالم فسبحان القاهر بالقسط لا اله الا هو
العزيز الحكيم فلما كانت الشريعة تامة بالعدالة الكلية لم تامر بالتفضل الكلى بل ندبت اليه ندبا ليستعمل في الجزئيات
التى لا يمكن ان تعين عليها لانها بلا نهاية وجزمت القول في العدالة الكلية لانها محصورة يمكن ان يعين عليها
وقد تبين ايضا مما قدمناه ان التفضل انما يكون في العدالة التى تخص الانسان في نفسه اعنى لتسوية المعاملة
اولا فيما بينه وبين غيره ثم الاستظهار فيه والاحتياط عليه بما يكون تفضلا ولو كان حاكما بين قوم وكان نصيب
له في تلك الحكومة لم يجز له التفضل ولم يسعه الا العدل المحض والتسوية الصحيحة بلا زيادة ولا نقصان
وتبين ايضا ان الهيئة التى يصدر عنها الافعال العادلة متى نسبت الى صاحبها سميت فضيلة ومتى نسبت
الى من يعامل بها سميت عدالة واذا اعتبرت بذاتها سميت ملكة نفسانية فاستعمال المرء العاقل العدل على
نفسه اول ما يلزمه ويجب عليه وقد ذكرنا فيما تقدم كيف يفعل ذلك وبينا كيف يعدل قواه الكثيرة اذا
هاج به بعضها واشرنا الى اجناس هذه القوى الكثيرة وان بعضها يكون بالشهوات المختلفة وبعضها يطلب
الكرامات الكثيرة وانها اذا تغالبت وتهايجت حدث في الانسان باضطرابها انواع الشر وجذبه كل واحدة
منها الى ما يوافقه وهكذا سبيل كل مركب من كثرة اذا لم يكن لها رئيس واحد ينظمها ويوحدها او وسطوا يشبه
كل من كان كذلك ممن يحدث من جهتين فينقطع بينهما ويشق بنصفين او من جهات كثيرة فينقطع بحسب
تلك الجهات وقواها وليس ينظم هذه الكثرة التى ركبت منها الانسان الا الرئيس الواحد الموهوب له بالفطرة
اعنى العقل الذى به يميز من البهائم وهو خليفة الله عنده فان هذه القوى كلها اذا اساسها العقل العدل
وزال عنها سوء النظام الذى يحدث من الكثرة وجميع ما ذكرناه من اصلاح الاخلاق مبنى عليه فاذا تم
للانسان ذلك اعنى ان يعدل على نفسه ولم تهذه الفضيلة فقد لزمه ان يعدل على اصدقائه واهله
وعشيرته ثم يلزمه ان يستعمل ذلك في الاباعد ثم في سايرالحيوان واذا قد صح ذلك وظهر ظهورا يحسبنا
فقد ظهر بالجملة ان شر الناس من رجا على نفسه ثم على اصدقائه ثم عشيرته ثم على كافة الناس والحيوان كلا
العلم بأحد الضدين هو العلم بالضد الاخر فخير الناس العادل وشرهم الجاير كما قلنا وقد قال قوم ان نظام
امر الموجودات كلها وصلاح احوالها معلق بالمحبة وقالوا ان الانسان انما اضطر الى اقتناء هذه

هذه الفضيلة اعني الهيئة التي تصدر عنها العدالة عند تعاطي المعاملات لما فانه شرف المحبة ولو كان المتعاملون احباء ليسا صفوا ولم تقع بينهم خلاف وذلك ان الصديق يحب صديقه ويريد له ما يريده لنفسه وليس بين الثقة والتعاضد والتوازر الا بين المتحابين فاذا تعاضدوا جمعتهم المحبة وصلوا الى جميع المحبوبات ولم يتعذر عليهم المطالب وان كانت صعبة شديدة وحينئذ ينشؤن الاراء الصايبة ويتعاونون العقول على استخراج الغوامض من التدابير القومية ويقوون على نيل الخيرات كلها بالتعاضد وارسطاطاليس احد من نحن في هذا الراي وقوله وهولاء القوم انما نظروا الى فضيلة التاحد التي تحصل بين الكثرة ولعمري انها اشرف غايات اهل المدينة وذلك انهم اذا تحابوا تواصلوا واراد كل واحد منهم لصاحبه مثل ما يريده لنفسه فصيرت القوى الكثيرة واحدة ولم يتعذر على احد منهم راي صحيح ولا عمل صواب ويكون متلمذا في جميع ما يحاول نيله مثل من يريد تحويل ثقل عظيم بنفسه ولا يطيق ذلك فان استعان بقوة غيره حركه ومدبر المدينة انما يقصد بجميع تدابيره ايقاع المودات بين اهلها واذا تم له هذا خاصة فقد تم له جميع الخيرات التي يتعذر عليه وجوده وعلى افراد اهل مدينة وحينئذ يغلب اقرانه ويعيش بالذاته ويعيش هو ورعيته مغبوطين ولكن هذا التاحد المطلوب المرغوب فيه لا يتم الا بالاراء الصحيحة التي يرجى الاتفاق من العقول السليمة عليها والاعتقادات القوية التي لا يحصل الا بالديانات التي يقصد بها وجه الله عز وجل واصناف المحبة كثيرة وانكانت ترتقي كلها الى وجه واحد وسنقول بعون الله فيها بما سنح فيما يتلو هذه المقالة **تمت المقالة الرابعة**

قد سبق القول في حاجة بعض الناس الى بعض وتبين ان كل واحد منهم يجد فيما عند صاحبه وان الضرورة داعية الى استعانة بعضهم ببعض لان الناس مطبوع على النقصانات ومضطرون الى تمامها ولا سبيل لافرادهم والواحد من لواحد منهم الى تحصيل تمامه بنفسه كما شرحناه فيما مضى فتحاجة صادقة والضرورة داعية الى حال تجمع وتولف بين اشتات الاشخاص ليصيروا بالاتفاق والائتلاف كالشخص الواحد الذي يجمع اعضاؤه كلها على الفعل الواحد النافع له والمحبة انواع واسبابها تكون بعدد انواعها فاحد انواعها ما ينعقد سريعا ويحل سريعا والثاني ما ينعقد سريعا ويحل بطيئا والثالث ما ينعقد بطيئا ويحل سريعا والرابع ما ينعقد بطيئا ويحل بطيئا وانما انقسمت الى هذه الانواع فقط لان مقاصد الناس في

مطالبهم وسيرهم ثلثة ويتركب بينها اربع وهي اللذة والخير والنافع والمركب منها واذا كانت هذه غايات الناس في معاشهم
فلا محالة انها اسباب لمحبة من يعاون عليها وصار سببا للوصول اليها واما المحبة التي تكون سببها اللذة فهي التي ينعقد سريعا
وينحل سريعا وذلك ان اللذة سريعة التغير كما شرحنا امرها فيما تقدم واما المحبة التي سببها الخير فهي التي ينعقد سريعا وينحل
بطيئا واما المحبة التي سببها النافع فهي التي ينعقد بطيئا وينحل سريعا واما المحبة التي يتركب من هذه اذا كان فيها الخير
فانها ينحل بطيئا وينعقد بطيئا وهذه المحبات كلها يحدث بين الناس خاصة لانها يكون بارادة ويكون فيها مجازاة
ومكافاة فاما التي تكون بين الحيوانات غير الناطقة فالاحرى بها ان يسمى الفا ويقع بين الاشكال منها خاصة واما
التي لا نفوس لها من الاحجار وامثالها فليس يوجد فيها الا الميل الطبيعي الى مراداتها التي تخصها وقد يوجد بينها منافرة و
مشاكلة بحسب مزجتها الحادثة فيها من عناصرها الاول وهذه الامزجة كثيرة اذا وقع فيها ما يناسبه نسبة ايفية
او عددية او مساحية حدث بينها ضرب من المشاكلة واذا حدثت اضداد هذه النسب وقعت بينها منافرة ويحدث لها
اشياء يسمى خواص وهي افعال بديعة غريبة وهي التي يسمى اسرار الطبايع ولا سيما في النسب بحسب المساواة ولها اضداد اعني
لهذه النسب وهي مبينة مشروحة في صناعة الارثماطيقي ثم في صناعة التاليف واما الامزجة التي بحسب هذه النسب و
الوقوف عليها في خفية عناء وعسيرة المرام وقد ادعى قوم الوصول اليها وليست بكل هذه الافعال والخواص
التي يحدث بين الامزجة من النسب المذكورة موجودة في العناصر نفسها والكلام فيها خارج عن غرضنا وانما ذكرناها
ههنا لانها تشبه المشاركات والمنافرات التي بين الحيوان في الظاهر وهي تشبه التي يحدث بين الناس بالارادة
وهي التي يتكلم فيها ويقع فيها مكافاة ومجازاة والصداقة نوع من المحبة لانها اخص منها وهي المودة بعينها وليس يمكن
ان يقع بين جماعة كثيرين كما يقع المحبة فاما العشق فهو فراط في المحبة وهو اخص من المودة وذلك انه لا يمكن ان يقع
الا بين اثنين فقط ولا يقع في النافع ولا في المركب من النافع وغيره وانما يقع لمحب اللذة بافراط او لمحب الخير بافراط وهو
مذموم اعني اللذة والاخر محمود الخير فالصداقة بين الاحداث ومن كان في مثل طباعهم وانما يحدث لاجل اللذة فهم
يتصادقون سريعا ويتقاطعون سريعا وربما اتفق خلاف ذلك بينهم في الزمان اليسير مرارا كثيرة وربما بقيت بعد شقتهم على
اللذة ومعاودتها حالا بعد حال واذا انقطعت هذه الثقة بمعاودتها انقطعت الصداقة للوقت والحال والصداقة
بين المشايخ ومن كان في مثل طباعهم انما يقع لامكان المنفعة فهم يتصادقون سببها فاذا كانت المنافع مشتركة بينهم

بينهم وهي في الاكثر طويلة المدة كانت عند اقامهم باقية فحين ينقطع علاقة المنفعة بينهم وينقطع رجاؤهم منها ينقطع مودتهم واما الصداقة بين الاخيار فيكون لاجل الخير وسببها هو الخير ولما كان الخير شيئا ثابتا غير متغير الذات صارت مودات اصحابها باقية غير متغيرة وايضا فلما كان الانسان مركبا من طبايع متضادة صار ميل كل واحد منها يخالف ميل الاخر واللذة التي يوافق احدها يخالف لذة الاخر التي يضادها فلا يخلص له لذة غير مشوبة باذى ولما كان فيه جوهر بسيط الهي غير مخالط لشيء من الطبايع الاخر صارت له لذة غير مشابهة لشيء من تلك اللذات وذلك انها بسيطة ايضا والمحبة التي سببها هذه اللذة هي التي تفرط حتى يصير عشقا تاما خالصا شبيها بالوله وهي المحبة الالهية الموصوفة التي تدعيها بعض المتالهين وهي التي يقول فيها ارسطوخاية عن ابن فلنطس ان الاشياء المختلفة لا يتشاكل ولا يكون منها تاليف جيد فاما الاشياء المتشاكلة فهي التي يسير بعضها ببعض ويشتاق بعضها الى بعض فاقول ان الجواهر البسيطة اذا تشاكلت واشتاق بعضها الى بعض تالفت صارت شيئا واحدا الاغيرية بينها اذ الغيرية انما يحدث من جهة الهيولى فاما الاشياء ذوات الهيولى وهي الاجرام فانها وان اشتاقت بنوع من الشوق الى التاليف فانها لا يتحد ولا يمكن ذلك فيها وذلك انها يلتقي بها انفسا وسطوحها دون ذواتها وهذا الالتقاء سريع الانفصال اذا كان التاصد فيها ممتنعا وانما يتاحد بعضها باستطاعة بملاقاة سطوحها فاذن الجوهر الالهي الذي في الانسان اذا صفا من كدورته التي حصلت فيه من ملابسة الطبيعة ولم يجد شيئا انواع الشهوات واصناف محبات الكرامات اشتاق الى شبهه وراى بعين عقله الخير الاول المحض الذي لا يشوبه مادة فاسرع اليه وحينئذ يفيض نور ذلك الخير الاول عليه فيلتذ به لذة ويصير الى معنى الاتحاد الذي وصفنا استعمل الطبيعة البدنية ام لم يستعملها الا انه بعد مفارقة الطبيعة الكلية احق بهذه الرتبة العالية لانه ليس يصفو الصفا التام الا بعد الحيوة الدنيوية ومن فضائل هذه المحبة الالهية انها لا تقبل النقصان ولا تقدح فيها السعاية ولا يعترض عليها الملل ولا تكون الا بين الاخيار فقط واما المحبات التي تكون بسبب المنفعة واللذة فقد يكون بين الاشرار وبين الاخيار والاشرار الا انها تنقضي وتتحلل مع تقضي النافع واللذيذ لانها عرضية وكثيرا ما يحدث بالاجتماعات في المواضع الغريبة الا انها تزول بزوال المواضع كالسفينة وما جرى مجراها والسبب في هذه المحبة الانس وذلك ان الانسان انس بالطبع وليس بوحشي ولا نفور ومنه اشتق اسم الانسان

فى اللغة العربية وقد تبين ذلك فى صناعة النحو وليس كما يقول الشاعر ع سميت انسانا لانك ناسى
فان هذا الشاعر ظن ان الانسان مشتق من النسيان وهو غلط منه وينبغى ان يعلم ان هذا الانس الطبيعى فى
الانسان هو الذى ينبغى ان يحرص عليه ويكتسبه مع انه احسنا لا يفوتنا بجهدنا واستطاعتنا فانه مبدء المحبات
كلها وانما وضع للناس الشريعة وبالعادة الجميلة اتخاذ الدعوات والاجتماع فى المآدب ليحصل لهم هذا الانس
ولعل الشريعة انما اوجبت على الناس ان يجتمعوا فى مساجدهم كل يوم خمس مرات وفضلت صلوة الجماعة على صلوة
الوحدة ليحصل لهم هذا الانس الطبيعى الذى هو مبدء المحبات وهو فيهم بالقوة حتى يخرج الى الفعل ثم تأكد ذلك
بالاعتقادات الصحيحة التى يجمعهم وهذا الاجتماع فى كل يوم ليس يتعذر على اهل كل محلة وسكة و
الدليل على ان غرض صنا الشريعة عليه السلام ما ذكرناه انه اوجب على اهل المدينة باسرهم ان يجتمعوا
فى كل اسبوع يوما بعينه فى مسجد يسعهم ليجمع ايضا شمل اهل المحال والسكك فى كل اسبوع كما اشتمل شمل
اهل الدور والمنازل فى كل يوم ثم اوجب ايضا ان يجتمع اهل المدينة مع اهل القرى والرساتيق المتقاربين
فى سنة مرتين فى مصل بارزين مصحرين ليسعهم المكان ويتراؤا ويتجدد الانس بين كافتهم وليشملهم المحبة الناظمة
لهم ثم اوجب بعد ذلك ان يجتمعوا من البلدان فى العمر كله مرة واحدة فى الموضع المقدس بمكة ولم يعين من العمر
على وقت مخصوص ليتسع لهم الزمان وليجتمع اهل المدينة المتباعدة كما اجتمع اهل المدينة الواحدة وتصير حالهم فى
الانس والمحبة وشمول الخير والسعادة كحال المجتمعين فى كل سنة وفى كل اسبوع وفى كل يوم فيحصل بذلك
الانس الطبيعى الى الخيرات المشتركة ويتجدد بينهم محبة الشريعة وليكبروا الله على ما هداهم وليغتبطوا بالدين
القويم الذى الفهم على تقوى الله وطاعته والقيم بحفظ هذه السنة وغيرها من وظائف الشرع حتى لا يزول
عن اوضاعها هو الامام وصناعته هى صناعة الملك والاوايل لا يسمون بالملك الا من
حرس الدين وقام بحفظ مراتبه واوامره ونواهيه فاما من اعرض عن ذلك فيسمونه متغلبا ولا
يوهلونه باسم الملك وذلك ان الدين هو وضع الهى يسوق الناس باختيارهم الى سعادة القصوى
والملك هو حارس هذا الوضع الالهى حافظ على الناس ما اخذ وابه وقال حكيم الفرس وملكهم اردشير ان
الدين والملك اخوان توامان لا يتراخى احدهما الا بالاخر فالدين اصل والملك حارس وكل ما لا اساس له فمهدوم وكل ما

ما لا حارس له فضائع ولذلك حكمنا بعمل الحارس الذى نصب للدين ان يتيقظ فى موضعه ويحكم صناعته ولا يدع
امرة ما يمونيا ولا يشتغل بلذة يخصه ولا يطلب الكرامة والغلبة الا من وجهها فانه متى اغفل شيأ من حدوده دخل عليه
من هناك الخلل والوهن وحينئذ يتبدل اوضاع الدين ويجد الناس اخصه فى شهواتهم ويكثر من يساعدهم
فينقلب هيئة السعاة الى ضدها ويحدث بينهم الاختلاف والتباغض فيؤديهم ذلك الى الشتات والفرقة
ويبطل الغرض الشريف وينتقض النظام الذى طلبه صاحب الشرع بالاوضاع الالهية فحينئذ الى تجديد الامر
والى استيناف التدبير وطلب الامام المحق والملك العادل وانعود الى ذكر اجناس المحبات واسبابها فنقول ان هذه
الاسباب كلها ما خلا المحبة الالهية اذا كانت مشتركة بين المتحابين واحد بعينه جاز فى السنتين ان ينعقدا معا
وينحلا معا وجاز ايضا ان يبقى احدهما وينحل الاخر مثال ذلك ان اللذة المشتركة بين الرجل والمراة هى سبب المحبة
بينهما فقد يجوز ان يجتمع المحبتان لان السبب واحد وهو اللذة وقد يجوز ان ينقطع احدهما ويبقى الاخر وذلك ان اللذة تتغير
ولا يكاد تثبت كما تقدم وصفها وقد يجوز ان يتغير سبب احد المحبتين وتثبت الاخرى وايضا فان بين الرجل وزوجته
خيرات مشتركة ومنافع مختلطة وهما يتعاونان عليها فالخيرات الخارجة عنا وهى الاسباب التى يعمرها
المنازل فالمرة تنتظر من زوجها تلك الخيرات لانه هو الذى يكتسبها ويحضرها واما الرجل فانه ينتظر من
زوجته ضبط تلك الخيرات لانها هى التى يحفظها ويدبرها التدبير ولا يضيع فمتى قصر احدهما اختلف المحبة
وحدثت الشكايات ولا يزال كذلك الى ان ينقطع او يبقى مع الشكاية والملامة وكذلك حال المنفعة
المشتركة بين سائر الناس اذا كانت واحدة بعينها فاما المحبات المختلفة التى اسبابها ايضا مختلفة فى
اول لمعة المحلل ومثال ذلك ان يكون محبة احد المتحابين لاجل المنفعة ومحبة الاخر لاجل اللذة كما يعرض
ذلك فى المتعاشرين على ان احدهما مغن والاخر مستمع فان المغنى منهما يحب المستمع لاجل المنفعة والمستمع منهما يحب
المغنى لاجل اللذة وكما يعرض ايضا فى العاشق والمعشوق اللذين احدهما يلتذ بالنظر والاخر ينتظر
المنفعة وهذا الصنف من المحبة يعرض فيها ابدا التشاكى والتظلم وذلك ان طالب اللذة يتعجل
له مطلوبه وطالب المنفعة يتاخر عنه مطلوبه وليس يكاد الامر يعتدل بينهما وكذلك ترى العاشق يشكو
معشوقه ويتظلم منه وهو بالحقيقة ظالم ينبغى ان يشكو لانه يتعجل لذته بالنظر ولا يرى المكافاة بما يستحق

صاحبه والمحبة اللوامة كثيرة الانواع الان الاصل فيها اذ ذكرت ويوشك ان يكون المحبة بين الرئيس والمرءوس والغنى والفقير يعرض بها اللوم والتوبيخ لاجل اختلافات الاسباب ولان كل واحد ينتظر من المكافات عند الاخر ما لا يجده عنده فيقع فساد في الثبات بينهما ثم استبطاء ثم ملامات ويزيل ذلك طلب العدالة المبسوطة بينهما والمماثلة الخاصة لا يرضيهم من مواليهم الا الزيادة الكثيرة في الاستحقاق وكذلك الموالي يستبطئون العبيد في الخدمة والشفقة والنصيحة وفي جميع ذلك يقع اللوم وفساد الضمير فهذه المحبة اللوامة التي لا يكاد يخلو منها الا على شريطة العدل وطلب الوسط من الاستحقاق والرضا به وهو صعب في محبة الاخيار بعضهم بعضا فانها لا يكون للذة خارجة ولا للمنفعة بل للمناسبة الجوهرية بينهما وهي قصد الخير والتماس الفضيلة فاذا احب احدهم الاخر لهذه المناسبة لم يكن بينهم مخالفة ولا منازعة ويصح بعضهم بعضا ويلاقوا بالعدالة والتساوي في ارادة الخير وهذا التساوي في النصيحة وارادة الخير هو الذي يوحد كثرتهم ولهذا احد الصديقين بانه اخر هو انت الا انه غيرك بالشخص ولهذا صار عزيز الوجود ولم يوثق بصداقة الاحداث والعوام ومن ليس بحكيم لان هؤلاء يحبون ويصادقون لاجل اللذة او المنفعة ولا يعرفون الخير بالحقيقة ولا اغراضهم صحيحة فاما السلاطين فانهم يظهرون الصداقة على انهم متفضلون ومحسنون الى من يصادقونهم فليس يدخلون تحت الحد الذي ذكرناه وفي صداقتهم زيادة ونقصان والمساواة عزيز الوجود عندهم وكذلك حال محبة الوالد للولد لان انواع هذه المحبة مختلفة واسبابها ايضا مختلفة لما قلنا الا ان محبة الوالد للولد والولد للوالد فان كان بينهما اختلاف ما من وجه فان بينهما اتفاقا ذاتيا واعني بالذاتي ههنا ان الوالد يرى في ولده انه هو هو وانه نسخ صورته التي يخصه من الانسانية في شخص ولده نسخا طبيعيا وينقل ذاته الى ذاته نقلا حقيقيا وحقه ان يرى ذلك لان التدبير الالهي بالسياقة الطبيعية التي هي سنة الله عز وجل هو الذي عاون الانسان على انشاء الولد وجعله السبب الثاني في ايجاده وينقل صورته الانسانية اليه ولذلك يحب الوالد الولد حتى يحب جميع ما يحبه لنفسه ويسعى في تاديبه وتحصيله لكل ما فاته في نفسه طول عمره ولا يشق عليه ان يقال له ولدك افضل منك لانه يرى الله هو هو كما ان الانسان اذا تزيد في نفسه حالا فحالا ويرقى في الفضيلة درجة درجة لا يشق عليه ان يقال

يقال له اتاك واصل مما كنت بل لسر ذلك ان لكل شخص اله اذا قيل له في ولده مثل ذلك تزيد فضل ايضا محبة
الوالد على محبة الولد بانه الفاعل له وبانه يعرفه منذ اول كونه ويستبشر به وهو جنين تزيد محبة له مع التربية
والتشوق وبتأكد سروره به وتأميله له ويحدث له اليقين بانه باق به صورة وان في جسمه مادة فان هذه
المعاني الجلية عند اهل العلم يتراءى للعوام كانها من وراء ستر واما محبة الولد للوالد فانها تنقص عن هذه المرتبة
فان الولد مفعول وبانه لا يعرف ذاته ولا قام على انه لا بعد ما طويل وبعد بيقين ثابت واما حساً ينفع به دهراً بعقل
بعد ذلك امر بالصحة وعلى مقدار عقله واستبصاره في الامور يكون تعظيمه لوالديه ومحبته لهما ولهذه العلة
وصى الله الولد بوالده ولم يوص الوالد بولده واما محبة الاخوة بعضهم بعضاً فلاجل انسبب كونهم وانسبتهم واحد
بعينه ويجب ان يكون نسبة الملك الى رعيته لنسبة ابوته ونسبة رعيته لنسبة بنوته ونسبة الرعية بعضهم الى
بعض لنسبة اخوية حتى يكون الرياسات محفوظة على شرايطها الصحيحة وذلك ان مراعاة الملك لرعيته هي مراعاة
الاب لولده ومعاملتهم اياه تلك المعاملة وقد كنا اشرنا الى ذلك وسنزيده بياناً اذا صرنا الى ذكر سياسة الملك في
كتاب آخر وعنايته برعيته تجب ان يكون عناية الاب باولاده شفقة وتحبباً وتعطفاً وتعهد اخلاق اصاحب الشريعة
عليه السلام بل لشرع الشريعة تعالى ذكره في الرافة والرحمة وطلب المصالح لهم ودفع المكاره عنهم وحفظ النظام فيهم
وبالجملة في كل ما يجلب الخير ويمنع الشر وانما عند ذلك يحبه رعيته محبة الولد للاب الشفيق ويحدث بينهما تلك النسبة
وانما تختلف هذه المحبات بالتفاضل الذي يكون بعظم المنافع فيجب ان يكرم الاب كرامة ابوية ويكرم السلطان
كرامة سلطانية ويكرم الناس بعضهم بعضاً كرامة اخوية ولكل مرتبة من هذه المراتب استحقاق خاص واستحقاق واجب
له فاذا لم يحفظ بالعدالة زاد ونقص وعرض لها الفساد فانتقلت الرياسات وانعكست الامور فعرض لرياسة الملك
ان ينتقل الى رياسة التغلب وتبع ذلك ان ينتقل محبة الرعية الى البغض وعرض لرياسة من دونه فصيرت محبة الاخيار
الى متابعة الاشرار ويعسر الالفة فقداً ويطلب كل واحد لنفسه ما يظنه خيراً له وان اضر بغيره ويبطل الصدق
والخير المشتركين بين الناس ويؤول الامر الى الهرج الذي هو ضد النظام الذي نبه الله لخلقه ورسمه بالشريعة وقرنه
بالحكمة البالغة فاما المحبة التي لا يشوبها الانفعالات ولا يطرأ عليها الافات وهي محبة العبد لخالقه عز وجل
فانها انما تحاصل لعالم الربانيين وخاصة خاصة ولا سبيل لتعريفها الا بالدعوى الكاذبة وكيف يجد الانسان سبيلاً الى

هذا الكتاب وقف على خزانة الكتب العربية بالجامع الكبير بتونس بامر صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله

محبة من لا يعرف ولا يعرف ضرب لغامه الدارة عليه وجوب احسانه المتصلة به في نفسه وبذا للهوى الا ان يصور في نفسه
صنما ويضنه الخالق تعالى عما يظنه المبطلون فيحبه ويعبده فان اكثر الناس كما قال الله عز وجل وما يؤمن اكثرهم بالله
الا وهم مشركون ولعمري انا نرى العامة تدعي المعرفة والمحبة وهم يتصورون شخصا وشخصا فيقولون عباد تهواياه من دون
الله وهذا هو الضلال البعيد وهذا عوا هذه المحبة كثير جدا والمحققون منهم قليل جدا بل هم اقل القليل وهذه
المحبة يتصل بها الطاعة والتعظيم ويتلوها ويقرب منها محبة الوالدين واكرامهما وطاعتهما وليس يرتقي المحبتها
شئ من المحبات الاخر الا محبة الحكماء عند تلاميذهم فانها متوسطة بين المحبة الاولى اعني الالهية وبين المحبة
الثانية وذلك ان المحبة الاولى لا يبلغها شئ من المحبات كما ان اسبابها لا يبلغها شئ من الاسباب والنعم
التي تاتي من قبلها لا يشبهها شئ من النعم واما المحبة الثانية فهي تقرب منها لان سببها هو السبب الثاني في وجودنا
الحسي اعني ابداننا وكوننا فاما المحبة الثالثة اعني محبة الحكماء فهي اشرف واكرم من محبة الوالدين لاجل
ان شرفهم ومرتبتهم يكون من اجل تربيتهم لنفوسنا وهو اسباب وجودنا الحقيقي وبهم وصلنا الى السعادة
التامة فليس يبلغ احد جزاء ولا مكافاة ما يستحقه الاول ولا ما يستاهله الثاني وان اجتهد وبالغ ولا يؤدي
حقوقها ابدا وان خدم باقصى طاعته وغاية وسعه واما محبة طالب الحكمة للحكيم والتلميذ الصالح المعلم الخير
فانها من جنس محبة الاول وفي طريقها وذلك لاجل الخير العظيم الذي يشرف عليه ويصل اليه والمرجاء الكثير
الذي لا يتحقق الا بعنايته ولا ينال الا بمطاعته ولانه والد روحاني ورب بشري واحسانه احسان الهي فانه الذي
يربيه بالفضيلة التامة ويغذوه بالحكمة البالغة ويسوقه الى الحق الابدية في النعيم السرمدي واذا كان هذا
في وجودنا العقلي وهو المرتب لنفوسنا الروحانية فحسب فضل النفس على البدن يجب ان يفضل المنعم بهذا على المنعم
بذلك ويقدر فضلا عليه بفضل التربية على التربية فحق ما يحب التلميذ معلم الحكمة محبة خالصة شبيهة
بالمحبة الاولى واذا كانت هذه المحبة من جنس تلك المحبة والطاعة له من جنس تلك الطاعة وكان سبب
هاتين النعمتين ومفيضا لهما وسائقا اليهما والى جميع النعم هو السبب الاول الذي هو سبب الكائنات كلها وجب
ان يكون محتشما له في اعلى مراتب المحبات وكذلك طاعتنا له وتعبدنا اياه ويجب على بليغ هذه الفضيلة
الاخلاق ان يعرف مراتب المحبات وما يستحقه كل واحد من صاحبه حتى لا يبذل كرامة الوالد للرئيس الاجنبي والاكرامة

كرامة الصديق للسلطان ولا كرامة الولد العشيرة ولا كرامة الام للاب فان لكل واحد من هؤلاء واشباههم صنفا
من الكرامة وحقا من الجزاء ليس للاخر وربما خلط فيه اضطراب وفساد وشتت اللذات واذا وفى كل واحد منهم حقه وقسطه
من المحبة والمحبة والنصيحة كان حاد لا واجب له محبته وعدالته فيها حجة على صاحبه ومعامله وكذلك يجب ان
يجري الامر في معاشرة الاصحاب والخلطاء والمتعاشرين في توفية حقوقهم واعطائهم ما هو خاص بهم ومن غش المحبة
والصداقة كان اسوء حالا من غش الدرهم والدينار فان الحكيم ذكر ان المحبة المغشوشة تضل سريعا وتفسد وشيكا
كما ان الدرهم والدينار اذا كانا مغشوشين فسدا وفسد اهذا واجب في جميع انواع المحبات ولذلك ينبغي للعاقل
ابدا ان يتخط واحدا ويلزم مذهبا واحدا في ارادة الخير ويفعل جميع ما يفعله من اجل ذاته ويرى خيره عند غيره كخيره عند نفسه
فاما صديقه فقد قلنا انه هو هو لانه غيره بالشخص واما سائر مخالطته ومعارفه فانه يسلك بهم مسلك
اصدقائه وكانه مجتهد في ان يبلغ بهم وفيهم منازل الاصدقاء بالحقيقة وان كان لا يمكن ذلك في جميعهم
فهذه سيرة الرجل الخير في نفسه ورسائه واهله وولده وعشيرته واصدقائه وسلطانه فاما الشرير فانه يسير
من هذه السيرة وينفر منها لرداءة الهيئة التي حصلت له ولحب البطالة والتكاسل عن معرفة الخير والتمييز بينه و
بين الشر وما هو مظنون عنده خيرا وليس غيره من كان على هذه الحال من الشر ورداءة الهيئة كانت
افعاله كلها ردية وذاته ردية ومن كان ذاته ردية هرب من ذاته لان الرداءة مهروب منها واضطر الى
مصاحبة قوم يناسبونه ليفني عمره معهم ويشتغل بهم عن ذاته وما يجد فيها من الاضطراب والقلق وذلك
هؤلاء الاشرار اذا خلوا بانفسهم ذكروا افعالهم الردية وهاجت بهم القوى المتضادة التي يدعو بعضها الى اتباع
الشر والمتضادة فيألمون من ذواتهم ويتشاغب نفوسهم انواع التشغب ويجذبهم القوى التي فيها وفي
التي لم ترضوها بالادب الحقيقي الى جهات مختلفة من اللذات الردية وطلب الكرامات التي
لا يستحقونها والشهوات المردية التي تقتلكم سريعا فاذا جذبتهم هذه القوى الى جهات مختلفة
احدثت فيهم الامما كثيرة لانه ليس يمكن ان يفرح ويحزن معا ولا يرضى ويسخط في حال واحدة
ولا يقبل ان يجذب الى جهات مختلفة بحركة واحدة ويستطيع ان يؤلف بين الاضداد حتى يجتمع له فمن
شقائه يهرب من ذاته لانها ردية فاسدة مؤلمة كثيرة التشغب عليه ويلتمس لعشرته ومخالطته من

هو مثله واسوء كلا منه فيجد في الوقت راحة بركونه اليه لاجل المشاكلة ثم يعود قليلا بالاحليه وبرأية في حيا الرخاء
فالم به وهرب منه فليس له محب ولا ذائه ولا له نصيح ولا نفسه ولا يحصل الا على الندامة ولا يرجع الا على الشقوة واما الرجل الخير
الفاضل فان سيرته جيدة محبوبة فهو يحب ذاته وافعاله ويسر بنفسه ويسر به ايضا غيره ويختار كل انسان من اصلحه ومصادقته
فهو صديق نفسه والناس اصدقاء كثير وليس يشهادة الا الشرير فقط ويعرض لمن هو هذه سيرته ان يحسن الى غيره بقصده
وبغير قصد وذلك ان افعاله لذيذة محبوبة والذيذ المحبوب مطلوب مختار ميكثر المتقبلون له والمتنعمون به الاحاطة
عنه وهذا هو الاحسان الذاتي الذي يبقى ولا يقطع ويتزيد على الايام ولا ينتقص واما الاحسان العرضي الذي
ليس بخلقي ولا هو سيرة لصاحبه فانه ينقطع ويلحق فيه اللوم والمحبة التي يعرض منه يلحق بالجهات الملومة وذلك
يوصي صاحبه بتربيته فيقال له رب الصنيعة اصعب من ابتدائها والمحبة التي تحدث بين المحسن والمحسن اليه
يكون فيها زيادة ونقصان اعني ان محبة المحسن اليه اشد من محبة المحسن اليه للمحسن واستدل ارسطاطاليس على ذلك
ان المقرض وصانع المعروف يتمم كل واحد منهم لمن اوضه واصطنع المعروف عنده ويتعاهد انه ويحبان سلامته
اما المقرض فربما اراد سلامة المقرض لمكان الاخذ لا لمكان المحبة اعني انه يدعوله بالسلامة والبقاء شوقا
النعمة والكفاية من كل وجه ليصل الى حقه واما المقرض فليس يتكلبن عنايه بالمقرض ولا يدعوله بهذه
الدعوات واما مصطنع المعروف فانه بالحق الواجب الذي اصطنع اليه معروفه ان لم ينتظر منه منفعة و
ذلك ان كل صانع فعل جيد محمود لكن مصنوع فاذا كان المصنوع مستقيما يجب ان يكون صحيحا في الغاية فقد تبين
ان محبة المحسن اشد من محبة المحسن اليه فاما الحسن فشهوته الاشد ازيد من شهوة المحسن وايضا فان المحبة المكتسبة بالاستا
المرأة على طول الزمان يجري مجرى الغنيمات التي تتيح تحصيلها وما يكتسب منها على سبيل التعب والنصب يكون المحبة لها
والضن بها كالذي من وصل الى المال بغير تعب لم يكترث له ولم يشح عليه وبذله في غير موضعه كما يفعل الوراث ومن يجري
مجراه فاما من وصل اليه بتعب وسعي في طلبه وسعى بجمعه فانه لاعالة تكون شديد الضن به والمحبة له ولهذه العلة
صارت الامهات اكثر محبة للولد من الاباء لان الام تعرض لها من الحنين والوالهة اضعاف ما يعرض للاب وبهذا النوع من الحنين يعلم الشاعر
شغف ومحبته بالشعر من بين سائر عجب غيره وكل فاعل فعلا يتعب به فهو يحب صنعته ذلك وايضا فان المنفعل لا يحب الفاعل الا لاحد
منفعل والمعطى على فمن هذه الوجوه تبين ان مصطنع المعروف يحب من احسن اليه اشد محبة من المنعم

يصطنع المعروف لاجل الخير نفسه ومنهم من يصنعه لاجل الذكر الجميل ومنهم من يصنعه بالمختلط من البين ان اعلا هو مرتبة من صنعه لذاته اعني لذات الخير وصاحب هذه المرتبة لا يعدم الذكر الجميل والثناء الباقي وحبة من لم يصنع المعروف عنده وان لم يعتد ذلك بالفعل ولا النية ولما حكمنا فيما تقدم حكما مقبولا لا يرده احد وهو ان كل انسان يحب نفسه وكانت هذه المحبة لاحد هذه الاقسام الثلثة التي ذكرناها اعني اللذة والنافع والخير وجب من ذلك ان يكون من لا يميز بين هذه الاقسام حتى يعرف الافضل فالافضل منها لا يدري كيف يحسن الى نفسه التي هي محبوبته فيقع في ضروب من الخطا بجعله الخير الحقيقي فلذلك صار بعض الناس يختار لنفسه سيرة اللذة وبعضهم سيرة الكرامة والنافع لانهم لا يعرفون بما هو افضل منها فاما من عرف سيرة الخير وعلو مرتبته فهو لا محالة يختار لنفسه افضل السير واكرم الخيرات فالا يؤثر اللذة البهيمية ولا اللذات الخارجة عن نفسه انها اعراضية كلها وستحيلة ومضمحلة لكنه يختار انها الخيرات واعلاها واعظمها وهو الخير الذي لها بالذات اعني الذي ليس يخارج عنها وهو الذي ليس يتجزء الا هي ومن ساد بهذه السيرة واختارها لنفسه فقد احسن اليها واثرها في الشرف الاصلي واهلها لقبول الفيض الالهي واللذة الحقيقية التي لا تفارقه ابدا واذا كان بهذه الحال فهو لا محالة يفعل سائر الخيرات الاخر وينفع غيره ببذل الاموال والسماحة بجميع ما يتشاح الناس عليه ويحصل صدقاته ومن ذلك بكل ما يضيق عنه ذرع اصحابه غير الباقية فيصير معظما عند كل احد لا سيما عند صديقه وايضا فقد بينا فيما تقدم ان الانسان مدني بالطبع وشرحنا معنى المدني فاذن بالواجب يكون تمام سعادته الانسانية عند اصدقائه ومن كان تمامه عند غيره فمن المحال ان يصل مع الوحدة وبالتفرد الى سعادته التامة فالسعيد اذن من اكتسب اصدقاء واجتهد في بذل الخيرات لهم ليكتسب بهم ما لا يقدر ان يكتسبه بذاته فيلتذ بهم ايام حياته ويلتذون ايضا به وقد شرحنا حال هذه اللذة وانها باقية البهية غير مضمحلة ولا متغيرة وهي في جملة الناس والجمهور منهم قليل جدا واما اصحاب اللذات البهيمية والنافعة فيها فكثير جدا وقد يكتفي من هؤلاء بالقليل كالابازير في الطعام وكالملح خاصة فاما الصديق الاول الذي وصفناه فلا يمكن ان يكون كثير العدد ولانه محبوب لذاته فاما المحبة لا يصح ولا يتم الا لواحد فاما احسن العشيرة وكون اللقاء والمسعى لكل واحد سيرة الصديق الحقيقي فبذول لاجل طلب الفضيلة ولانا قد قلنا فيما تقدم ان الرجل الخير الفاضل يستلذ في عشيرته معاد فيه مسلك الصديق وان لم يثر الصداقة الحقيقية فيهم واوسطها ليس يقول

ان الانسان يحتاج الى الصديق عند حسن الحال وعند سوء الحال لحاجة اليه وكلى الحالتين وذلك انه عند سوء الحال يحتاج الى المؤانسة والى من يحسن اليه ولعمرى ان الملك العظيم يحتاج الى من يبسط طعمه ويصنع اصطناعه كما ان الفقير من الناس يحتاج الى صديق يصطنعه ويصنع عنده المعروف لطلبه ومن اجل فضيلة الصداقة ايثار بعض الناس بعضهم بعضا ويتعاشرون عشرة جميلة ويداعب بعضهم بعضا ويجتمعون فى الرياضات والصيد واللذات واما سقراط الحكيم فانه قال بهذه الالفاظ ان الاكثر التعجب من يعلم ولادة اخبار الملوك ووقايع بعضهم ببعض وذكر الحروب الصعابين ومن انتقم او توثب على صاحبه ولا يخطر بباله امر المودة واحاديث الالفة ويحصل من الخيرات العامة لجميع الناس بالجملة والانس فانه لن يستطيع احد من الناس ان يعيش بغير المودة وان مالك الدنيا بجميع رغائبها فان ظن احد ان امر المودة صغيرة يصغر من ظن ذلك وان قدرانه موجود الهوينا فانه اصعب ما يعسر وجود صداقة يوثق بها عند البلوى ثم قال لكنى اعتقد واقول ان قدر المودة وخطرها عندى اعظم من جميع ذهب قارون ومن ذخائر الملوك قاطبة ومن جميع ما يتنافس فيه اهل الارض من الجواهر وما يحويه الدنيا بل وبحار الارض من قليل فيه من الحرث والبناء وسائر الامتعة والاثاث ولا يعدل جميع ذلك ما اخترت لنفسى من فضيلة المودة وذلك ان جميع ما ذكرته لا ينفع صاحبه اذا حلت به لوعة مصيبة فى صديقه ولا يقوم له جميع الارض مقام صديق يثق به فى مهم يساعده عليه وسعادة عاجله واجله يترائبه فطوبى لمن اوتى هذه النعمة العظيمة وهو خليق من السلطان ولعظم طوبى لمن اوتيه فى سلطان فذلك ان من باشر امور الرعية وارادان يعرف احوالهم وينظر فى امورهم حق النظر لم يكفه اذنان وعينان ولا قلب واحد فان وجد اخوانا ذوى ثقة وصدق عيونا واذانا وقلوبا كانها باجمعها له فقريب عليه الظفر والطلع مراده فى امره على اقصاه ورأى الغاية بصبوته الشاهدة ان يجد هذه الفضيلة الا عند الصديق الصدوق وكيف يطمع فيها عند غير الرفيق الشفيق واذ قد من علينا هذه النعمة الجليلة الخطيرة فقد وجب علينا ان ننظر كيف نقتنيها ومن اين نطلبها واذا حصلت لنا كيف يحفظ بها لئلا يصيبنا فيها ما اصاب الرجل الذى ضرب به المثل حين طلب شاة فوجدها وان امرأته غرتها وظن الرجل انها فاخذه الشاعر وقال اعذها نظرت منك صادقة ان يحسب الشحم فيمن شحمه ورم ولا سيما وقد علمنا ان الانسان بين جميع الحيوان يتصنع حتى يظهر الناس منه ما لا حقيقة له فيبذل ماله وهو بخيل ليقال هو

هو جواد ويقدم في بعض المواطن على بعض المخاوف ليقال هو شجاع فاما سائر الحيوان فان اخلاقها ظاهرة
للناس من اول الامر لا يتصنع فيها وكذلك يكون حال من لا يعرف الحشائش والنبات فانها يشتبه في عينه
حتى يجربها ويأكل منها شيئا وهو يظنه حلوا فاذا يطعمه وجده مرا وربما ظنه غذاء فيكون سما فينبغي ان يحذر كل الحذر
الخطر في تحصيل هذه النعمة الجليلة حتى لا يقع موثة الخداعين الذين يتصورون لنا بصورة الفضلاء الاخيار
فاذا اصحبناهم في شبابنا فترسونا كما يفترس السباع اكلتها والطريق الى السلامة من هذا الخطر بحسب
اخذنا له عن سقراط الحكيم اذ اردنا ان نستفيد صديقا ان نسأل عنه كيف كان في صباه مع والديه ومع اخوته
وعشيرته فان كان صالحا معهم فارج الصلاح منه والا فبعده منه واياك واياه قال ثم اعرف بعد ذلك سيرته
مع اصدقائه فتلك واصفها الى سيرته مع اخوته وابائه ثم تتبع امره في شكره من يجب عليه شكره او كفره
النعمة ولست اعني بالشكر المكافاة التي ربما عجز عنها بالفعل ولكن ربما اعطل نيته في الشكر فلا يكافي بما
يستطيع بما يقدر عليه فيهتم الجميل الذي يهدى اليه وراه حقاله او يتكاسل عن شكره باللسان وليس احد
يتعذر عليه ذكر النعم التي تولاها والثناء على صاحبه والاعتداد له بها وليس شيء اشد اصيابا للنعمة من الكفر
وحسبك ما اعده الله للكافر لنعمته من النقمة من تعاليه عن الاستضرار بالكفر ولا شيء اجلب للنعمة ولا اشد تثبيتا
لها من الشكر وحسبك ما وعد الله الشاكرين مع استغنائه عن الشكر فيعرف من هذا الخلق من يريد مواخاته واحذر ان
يبتلى بالكفور للنعم المستخف لايادي الاخوان واحسان السلطان ثم انظر ميله الى الراحات وبساطه عن الحركات
التي فيها ادنى تعب فان هذا خلق ردي يتبعه الميل الى اللذات فيكون شيبها بالنقائص عما يجب عليه من الحقوق ثم انظر
نظن اشاهنا في محبته للذهب والفضة واستهتاره بجمعها وحرصه عليهما فان كثيرا من المتعاشرين يتظاهرون
بالمحبة ويتهادون ويتباسطون واذا وقعت بينهم معاملة في هذين المجرين هر بعضهم على بعض هرير الكلاب و
خرجوا الى ضرب العداوات ثم انظر في محبته للرياسة والتقدم فان من احبت الغلبة التراس وان يفرط ولا
ينصفك في المودة ولا يرضى منك بمثل ما يعطيك ويحمله الخيلاء والتنبيه على الاستهانة باصدقائه و
طلب الترفع عليهم وليس يتم مع ذلك مودة ولا بد من ان يزول الحال بينهم بالعداوات والاحقاد والاضغان
الكثيرة ثم انظر هل هو ممن يستهين بالغناء والملاهي وضروب اللهو واللعب وسماع الجوارح والمضاحك فان ذلك

فما اشغله عن مساعدات اخوانه ومواساتهم وما اشدهم عن مكافاة باحسان واحتمال النصب والخول تحت ثقيل فيه مشقة وان كان بريا من هذه الخلال فليحفظ قلبه غيب ليكف بواحدان وجد فان الكمال عزيز وايضا فان من كثرة اصدقائه لم يف بحقوقهم واضطر الى الاعضاء عن بعض ما يجب عليه الى التقصير في بعض وربما تزادفت عليه الحوال متضادة اعني ان تدعوه مساعدة صديق ان يسرير وسه ومساعدة اخر ان ينم بغيه وان يسعى لواحد ويقعد بقعود مع احوال يشبه هذه كثيرة مختلفة ولا ينبغي ان يحملك ما خصصتك عليه من طلب الفضايل فيحرز تصادقه على تتبع صغار عيوبه فيصير من ذلك الى ان لا يسلم لك احد ويبقى خلوا من الصديق بل ان يغضي عن المعاب اليسيرة التي لا يسلم من مثلها الناس في بطر ما يجده في نفسك من عيب فيحتمل مثله من غيرك واحذر عداوة من صادقته او خالطته مخالطة الصديق واستمع قول الشاعر

عدوك من صديقك مستفاد ✽ فلا يستكثرن من الصحاب

فان الداء اكثر ما تراه ✽ يكون من الطعام او الشراب ✽ فلذلك يجب عليك متى حصل لك صديق ان يكثر مراعاته ويبالغ في تفقده ولا يستهين باليسير من حقه عندهم يعرض له ارحادث يحدث به فاما في ارتفاع الرخاء فينبغي ان يلقاه بالوجه الطلق والخلق الرحب وان تظهر له في عينك وحركتك وبشاشتك وارتياحك عند مشاهدتك اياك ما يزداد به في كل يوم وكل حال ثقة برحبتك وسكونا الى عتبتك وترى السرور في جميع اعضائك التي يظهر السرور فيها اذا القيك فان التقى الشديد عند طلعة الصديق لا يخفى وسر الشكل بالشكل امر غير مشكل ثم ينبغي ان يفعل مثل ذلك بمن يعلم انه يؤثره ويحبه من صديق او ولد او تابع او حاشية ويثني عليهم من غير اسراف يخرجك الى الملق الذي يمقتك عليه ويظهر لك منك تكلف فيه فاما يتملك ذلك اذا رغبت الصديق في كل ما يثني عليه والزم هذه الطريقة حتى لا يقع منك لون فيها بوجه من الوجوه وفي حال من الاحوال فان ذلك يجلب المحبة الخالصة ويكسب الثقة التامة ويعيدك عبة الغرباء ومن لا معرفة له بك وكما ان الحمام اذا الف بيوتا والف بها استانا وطاف بها جلت اشكاله وامثاله وكذلك حال الانسان اذا عرفنا واخلط به اصناف الناس فانه يجلب الى نفسه بل يزيد على الحيوان غير الناطق بحالين صفة وجميل الثناء ونشر المحاسن واعلم ان مشاركة الصديق في السراء اذا كنت فيها وان كانت واجبة عليك حتى لا يستاثر ولا تختص بشيء منها فان مشاركته في الضراء اذا اكتنفتك وجب ومعها اعظم واعظم نظرا عند الله

ذلك ان اصابته نكبة او لحقته مصيبة او غيرته الدهر كيف يكون مواساتك له بنفسك ومالك وكيف يظهر
له تفقدك ومراعاتك ولا ينتظرن به ان يسالك صريحا او تعريضا بل اطلع على قلبه واسبق الى ما في نفسه وشاركه
في مضض ما لحقه ليخف عنه وان بلغت مرتبة من السلطان والغنى فاغمس اخوانك فيها من غير امتنان ولا
تطاول وان رايت من بعضهم تنوعا عنك او تقصانا مما عهد به فداخله زيادة مداخلة واختلط به واحتذ به
اليك فانك ان الفت من ذلك او مداخلك شيء من الكبر والصلف عليهم انتقض حبل المودة وانتكثت قوته ومعذلك
فلست تامن من ان يزول عنك فيستحيي منه ويضطر الى قطعهم حتى لا ينظر اليه هو فحافظ على هذه الشرائط
بالمداومة عليها ليسبغ المودة على حالة واحدة وليس هذا الشرط خاصا بالمودة بل هو مطرد في كل ما يحصل
اعني ان مركوبك وملبوسك ومنزلك متى لم تراعها مراعاة متصلة فسدت وانتقضت فاذا كان صورة
حايطك وسطوحك كذلك ومتى غفلت وتوانيت لم تامن نقوضه وتهدمه فكيف ترى ان حفوفي يرجوه
في كل خير وينتظر مشاركته في السراء والضراء ومع ذلك كان ضرتاك تختص بمنفعة واحدة فاما صديقك
فوجوه الضرر الذي يدخل عليك بخفائه وانتقاض مودته كثيرة عظيمة وذلك انه ينقلب عدوا ويتحول منافعه
مضارا فلا تامن غوايله وعداوته مع عدمك الرغايب والمنافع به وينقطع رجاؤك فيما لا تجد له خلفا و
لا يستفيد منه عوضا ولا يسد مسده شيء واذا راعيت شروطه وحفظت حقوقه ولزمتها بالمداومة امنت جميع ذلك
فاحذر المراءة خاصة وان كان واجبا ان يحذر مع كل واحد فان مماراة الصديق يقلع المودة من اصلها
لانها سبب الاختلاف والاختلاف سبب التباين الذي هربنا منه الى ضده وقبحنا المرء واختبرنا عليه الالفة
التي طلبناها واثبتنا عليها وقلنا ان الله عز وجل دعا اليها بالشريعة القويمة والى لا اعرف من يثور المرء
ويزعم انه يقدح خاطره وينشط ذهنه وينفر شكوكه فهو متحيل في المحافل التي يجمع رؤساء اهل النظر ومتعاطي العلوم
مماراة صديقه ويخرج في كلامه معه الى الفاظ جهال العامة وسقاطهم ليزيد في خجله صديقه وليظهر
انقطاعه وبلده وليس يفعل ذلك به عند خلوته ومذاكرته له وانما يفعله حيث يظن انه ادق نظرا واخصر حجة واغزر
علما واحد قريحة مما كذب اشبهه الا باهل البغي وجبابرة اصحاب الاموال والمتشبهين بهم من اهل البذخ فان هؤلاء
يستخف بعضهم بعضا ولا يزال يصغر صاحبه ويزدري على مروته ويطلب عيوبه ويتبع عثراته ويبالغ

كل واحد فيما يقدر عليه من مساءة صاحبه حتى يتادى بهم الحال الى العداوة التامة التى تكون معها السعاة وازالة النعم
ويجاوز ذلك الى سفك الدم وانواع الشر وكيف يثبت مع المرء محبة او يرجى لفعله ثم احذر ان صديقك ان
كنت محققا للعلم ومحليا بادب بان يخل عليه بذلك الفن او يرى فيك انك يجب الاستبداد دونه والاستيثار
عليه فان اهل العلم لا يرى بعضهم فى بعض ما يراه اهل الدنيا بينهم وذلك ان متاع الدنيا قليل واذا تزاحم عليه
قوم تلم لبعضهم حال ونقص حظ كل واحد من حظ الاخر فلا يعلم انه بالضد وليس ينقص احدا ما ياخذه غيره منه بل
تركوا على النفقة ويزيد مع الصدقة ويزيد على الانفاق وكثرة فاذ انجل صاحب علم بعلمه فانما ذلك الاحوال فيه كلها
قبيحة وهى انه اما ان يكون قليل البضاعة منه فهو يخاف ان يفنى ما عنده او يرد عليه ما لا يعرفه فيزول شوقه
عند الجهال واما ان يكون مكتسبا به فهو يخشى ان ينقص مكسبه بنقص حظه منه واما ان يكون حسودا فالحسود
بعيد من كل فضيلة لا يود احدا ولا يوده احد واني لاعرف من لا يرضى بان يخل بعلم نفسه حتى يخل بعلم غيره ويكثر
عتبه وسخطه على من يفيد غيره من التلامذة المستحقين لفائدة العلم وما اكثر ما يتوصل الى اخذ الكتب المؤلفة
من اصحابها وينعم بها مثلا وهذه خلق لا يبقى بعده مودة بل يكسب صاحبه عداوت لا يحسبها ويحسم اطماع
صاحبه من صداقته ثم احذر ان ينبسط اصحابك وتخالطهم من ايقاعك او يحمل احدهم على ذكر شئ من
اسباب صديقك بغير الجميل فضلا عن ذكره فى نفسه ولا يرخص فى غيبة شئ يتصل به فضلا عن عيبه ولا يطمعن فى
ذلك احد من اسبابك والمتصلين بك جدا ولا هزلا وكيف يحتمل ذلك فيه وانت عينه وقلبه وخليفته على
الناس بل انت هو بعينه ان بلغه شئ مما حدثك منه لم يشك ان ذلك كان عن رائك وهواك فانقلب
عداوة ونفر عنك نفور الصيد فان عرفت منه انت عيبا فوافقه عليه موافقة لطيفة ليس فيها غلظة فان
الطبيب الرفيق ربما بلع بالدواء اللطيف ما يبلعه غيره بالشق والقطع والكى بل ربما بالغذاء الى الشفاء و
اكتفى به عن المعالجة بالدواء ولست احبك تعضى عما تعرفه فى صديقك وان تترك موافقة عليه وليس من حق الصديق
ان يغر ويبذل لعين الاضداد حتى يصبق ويتقلب ثم احذر النميمة وسماعها وذلك ان الاشرار يدخلون بين الاخيار
فى صورة النصحاء فهو هؤلاء نمام النصيحة ويقلون النميم فى عرض الاحاديث اللذيذة اخبارا صدقا ثم عرفة
مموهة حتى اذا اجتاسروا عليهم بالحديث المختلف عرجوا لهم ربما يفسدون ذات بينهم ويشوهون وجوه صداقاتهم الى

بسم الله الرحمن الرحيم

الى ان يبغض بعضهم بعضا والقدماء فى هذا العلم كتبوا مؤلفة مفردة يحذرون فيها من النميمة ويشبهون صورة النمام بحيات
باطن افيزا اصول البنيان القوية حتى يؤثر فيها ثم لا يزال يزيد ويمعن حتى يدخل فيه المعول فيقلعه من اصله ويضربون
لذلك الامثال الكثيرة المشبهة بحديث الثور مع الاسد فى كليلة ودمنه ونحن نكتفى بهذا القدر من الايماء لئلا يخرج
عن رسم كتابنا وعما بنينا عليه مذهبنا من الايجاز مع الشرح ولست اترك مع الايجاز والاختصار تظهير هذا
الباب وتكريره عليك ليعلم ان القدماء انما الفوا فيه الكتب وضربوا له الامثال واكثروا فيه من الوصايا
لما رأوه من النفع العظيم عند الناس معين له من الاخبار ولما خافوه من الضرر الكثير على من يستهين به من الامم
وليعلم ان المثل المضروب فى السباع القوية اذا دخل بينها الثعلب اغراها على ضعفه اهلكها ودمر عليها وفى
الملوك الحصفاء اذا دخل بينهم اهل النميمة على صورة الناصحين حتى يفسد وا نياتهم على رعاياهم المبالغين فى
نصيحتهم المجتهدين فى تثبيت ملكهم الى ان يتغيظوا عليهم ويصرفوا عيونهم عنهم ويصيروا من بعد محبتهم وايثارهم
اياهم على اولادهم الى ان يملوا عيونهم منهم والى ان يبطشوا بهم قتلا وتعذيبا وهم غير مذنبين ولا محتربين ولا
مستحقين الا الكرامة والاحسان اذا بلغ من الاضرار والافساد ما بلغه من هؤلاء فكر بالحرى ان يبلغ منا اذا لم نجد
فى اصدقائنا الذين اخترناهم على الانام واوخرناهم للشدائد واحللناهم محل ارواحنا ونفوسنا تفضيلا
واكراما ويتبين لك من جميع ما قدمناه ان الصداقة واصناف المحبات التى يتوسل بها لسعادة الانسان من
حيث هو مدنى بالطبع انما اختلفت ودخل فيها ضروب الفساد وزال عنها معنى التاحد وعرض لها الانتشار
حتى احتجنا الى حفظها والتعب الكثير بنظمها لاجل النقصانات الكثيرة التى فينا واحتجنا الى تمامها مع الحوادث
التى تعرض لنا من الكون والفساد فان الفضايل الخلقية انما وضعت من اجل المعاملات والمباشرات
التى لا يتم الوجود الانسانى الا بها وذلك ان العدل انما احتيج اليه لتصحيح المعاملات ولا يزول به معنى الجور
الذى هو ذيله عن المتعاملين وانما وضعت العفة فضيلة لاجل اللذات الردية التى يجنى الجنايات العظيمة
على النفس والبدن وكذلك الشجاعة وضعت فضيلة من اجل الامور الهايلة التى يجب ان يقدم الانسان
عليها فى بعض الاوقات ولا يهرب منها وعلى هذا جميع الاخلاق الرضية التى وصفناها وخصصنا على
اقتنائها وايضا فان جميع هذه الفضايل يحتاج الى اسباب خارجة عنا والى افعال كثيرة الفنون اعنى ان

المحتاج الى اسباب من الاموال والى اكتسابها من وجوهها يمكنه ان يفعل بها فعل الاحرار والعادل المحتاج
الى مثل ذلك ليجازى من عاشره بجميلة ويكافى من عامله باحسان وجميعها لا يقوم الا الابدان ولا نقص ما
هو خارج عنها على حسب تقسيمنا السعادات فيما مضى وكلما كانت الحاجات اكثر والحاجة فيها الى المواد الخارجة
عنا اكثر فهذه حال السعادة الانسانية التى لا يتم الا بالافعال البدنية والاحوال المدنية بالاعوان الصالحين
والاصدقاء المخلصين وهى كما ترى كثيرة والتعب فيها عظيم ومن قصر فيها قصرت به السعادة الانسانية
به ولذلك صار الكسل ومحبة الراحة من اعظم الرذايل لانهما يحولان بين المرء وبين جميع الخيرات والفضايل
ويسلخان الانسان من الانسانية ولذلك ذمينا المتوسمين بالزهد اذا تفردوا عن الناس وسكنوا البحار
والمغارات واختاروا التوحش الذى هو ضد المدن لانهم ينسلخون عن جميع الفضايل الخلقية التى
عدنا ها كلها وكيف يعف ويعدل ويسخو ويشجع من فارق الناس وتفرد عنهم وعدم الفضايل الخلقية
وهل هو الا بمنزلة الجماد والميت فاما محبة الحكمة والانصراف الى التصور العقلى واستعمال الاراء الالهية
فانه خاص بالجزء الالهى من الانسان وليس يعرض شئ من الافات التى تعرض للجهات الخلقية ولا يلحقها ضرب
من الفساد ولذلك قلنا انها لا تقبل النهمة ولا نوعا من انواع الشر ولانها الخير الاول الخاص وبذلك الخير الاول
الذى لا يستفاد ولا يلحقه الشر الذى فى المواد وما دام الانسان يستعمل الاخلاق والفضايل الانسانية فانها
يعوق عن هذا الخير الاول وهذه السعادة الالهية ولكن ليس يتم له هذا الا بتلك ومن حصل تلك الفضايل فى
نفسه ثم اشتغل عنها بالفضايل الالهية فقد اشتغل بذاته حقا وبحا من مجاهدات الطبيعة والاجهاد من
مجاهدات النفس وقواها وصار مع الارواح الطيبة واختلط بالملائكة المقربين فاذا انتقل من وجوده
الاول الى وجوده الثانى حصل فى النعيم الابدى والسرور الالهى السرمدى وقد اطلق ارسطاطاليس جميع
هذه الالفاظ وقال ان السعادة التامة الخالصة هى لله عز وجل ثم للملائكة والمتالهين قال ولا ينبغى ان
يضيف الى الملائكة تلك الفضايل التى عددناها فى سعادات الانسان فانهم لا يتعاملون ولا يكيلون عند احدهم
وديعة فيحتاج الى ردها ولا لاحد منهم تجارة فيحتاج الى العدالة ولا يفرغ شئ فيحتاج الى السخاوة ولا لهم نفقات فيحتاج
الى الذهب والفضة ولا لهم شهوات فيحتاج الى ضبط النفس والى فضيلة العفة ولا هو مركب من الاسطقسات

الاسطقسات الاربعة التي يخلو من اضدادها فيحتاج الى الغذاء فاين هؤلاء الابرار الطاهرون من خلق الله عز وجل
غير محتاجين الى الفضائل الانسية والله تقدس تعالى اجل واعلى من ان نكلفه فيجب ان ننزهه عن جميع
ما ذكرناه من فضائل الانسان وانما نذكره بالخير البسيط الذي يشبهه وينسب اليه الامور العقلية التي يليق
به فنبالحق الواجب الذي لا مرية فيه لا يجبه الا السعيد الخير من الناس الذي يعرف السعادة والخير بالحقيقة
فلذلك يتقرب اليه بما يحمده ويطلب مرضاته بقدر طاقته ويتقبل افعاله بحسب استطاعته ومن احب الله تعالى
هذه المحبة وتقرب اليه هذه التقرب واطاعه هذه الطاعة اتبعه الله تعالى برضوانه واستحق خلته التي اطلقها الشريعة
في البشر حتى قيل ابراهيم خليل الله ومحمد حبيب الله صلى الله عليهما وسلم فاما ارسطاطاليس فانه اطلق بعد
ذلك ما لعله غير مطلق في لغتنا وذلك انه قال من احبه الله تعالى تعاهده كما يتعاهد الاصدقاء بعضهم
بعضا وحسن اليهم ولذلك تظن بالحكماء وضروب الفرح الغريبة وترى من تحقق بالحكمة انما يلذ غاية الالذاذ
ولا يلتفت الى غيرها ولا يعرج على سواها واذا كان الامر على ما وصفنا فالحكيم السعيد التام السعادة والحكمة
هو الله عز وجل وليس يجب الا السعيد الحكيم بالحقيقة لان الشبيه انما يسر بشبهه فقط ولذلك صارت هذه السعادة
ارفع واعلى من تلك السعادة التي ذكرناها وهي غير منسوبة الى الانسان لانها مهذبة من الحيوة الطبيعية مبراة
من القوى النفسانية مهانية بجميعها غاية المباينة وانما هي موهبة الهية يهبها لمن اصطفاه من عباده وزلمن
التمسها منه وسعى لها سعيها ورغب فيها وزاد في عبادة حيوته واحتمل المشقة والتعب فان من يصبر على ادامة التعب اشتاق
الى اللعب وذلك ان اللعب يشبه الراحة والراحة ليست من تمام السعادة ولا من اسبابها وانما يميل الى الراحات
البدنية من كان طبيعي الشكل بهي التخاد كالعبيد والصبيان والبهائم وليس احد ينسب الحيوان غير الناطق ولا
الصبيان والعبيد الى السعادة الا من كان مناسبا لهم واما العاقل الفاضل فانه يطلب بهيمة على المراتب واسطو
يقول ليس ينبغي ان يكون همم الانسان انسية وان كان انسانا ولا يرضى بهم الحيوان الميت وان كان هو ايضا ميتا
بل يقصد بجميع قواه ان يحب حق الالهية فان الانسان وان كان صغير الجثة فانه عظيم بالحكمة شريف بالعقل و
العقل فوق جميع الخلائق لانه الجوهر الرئيس المستولي على هذا الكل بامر مبدعه تعالى جده وقد قلنا فيما تقدم ان الانسان
ما دام في هذا العالم محتاجا الى حسن الحال الخارجة عنه ولكن لا ينبغي ان يضرف الى الملذات بقوته كلها ولا

الطلب لاستكثار منه فقد يصل الى الفضيلة من ليس بكثير المال ولا ظاهر اليسار فان الفقير من المال ولا الملك قد يفعل الافعال الكريمة وكذلك قال الحكماء ان السعداء هم الذين رزقوا القصد من الخيرات الخارجة عنهم وفعلوا الافعال التي يقتضيها الفضيلة وكانت قبيلتهم قليلة فهذا كلام الحكيم في هذه المرتبة التي وصلنا الكلام فيها وهو يقول بعد ذلك ليس في معرفة الفضائل كفاية بل الكفاية في العمل بها واستعمالها ومن الناس من ينهض الى الفضائل وينبعث للوعظة ويرغب في الخير وهؤلاء قليلون وهم الذين ينتفعون بجميع الرويات والشروح وذلك لجودة الطبع والطبع الفائق ومنهم من ينقاد الى الخيرات حتى يمتنع من الرذائل والشرور والفزع والوعيد والانذار من العذاب فيتهرب من الجحيم والهاوية وما اعد فيها من الآلام وذلك حكمنا ان بعض الناس اخيار بالطبع وبعضهم اخيار بالشرع وبالتعليم فالشرعية يجري لهؤلاء مجرى الماء للغصان الذي يسيغ به غصة فمن لا ينقاد لها فهو كالشرق بالماء لا يوجد له ما يسيغ به غصة وهو الهالك الذي لا حيلة فيه ولا طمع في اصلاحه وبرئه ولهذه العلة قلنا ان من كان بالطبع خيرا فاضلا فذلك لمحبة الله تعالى اياه وليس امر السنا ولا الحمى كما سببه بل الله عز وجل ومثل هذا هو الذي يقول ارسطوان عناية الله به اكثر فحصل مما قدمنا ان اصناف السعداء من الناس اربعة وهم موجودون بالتصفح والحس وذلك انا نجد من الناس من هو خير فاضل من مبدا كونه نزي فيه النجابة طفلا يتفرس فيه الفلاحة ناشيا بان يكون حيا كريم الحيم ثير مجالسة الاخيار ومؤانسة الفضلاء ويتفرس اضدادهم وليس يكون كذلك الا بعناية الحقة من اول مولده كما قلنا ونجد ايضا من لا يكون بهذه الصفة من مبدا كونه بل يكون كسائر الصبيان الا انه يسعى ويجهد في طلب الحق اذا راى اختلاف الناس فيه ولا يزال كذلك حتى يبلغ مرتبة الحكماء اعني ان يصير عالما صحيحا وعاملا صالحا وليس يبلغ هذه الدرجة الا بالتفلسف ولطراح الغضبيات وسائر ما حذرنا منه ونجد ايضا من يتوخذ بعدة اليسيرة اخذا على اكراه اما بالتاديب الشرعي واما بالتعليم الحكمي ومعلوم ان المطلوب هو القسم الثاني اذ كانت الاقسام الباقية هي من خارج ولا يمكن ان يطلب اعني ان من يفوق له في اصل مولده السعادة ومن يكره عليها ليس من اقسام الطالب للجهد وتبين ايضا مقام الجهد ومنزلته من السعادة التامة الحقيقية وانه وحده من بين سائر الطبقات هو السبيل الكامل للتقرب الى الله عز وجل للحب المطيع المستحق خلته ومحبته كما تقدم وصفه

نسخة من هذا الكتاب في مكتبة ... [illegible]

المقالة الخامسة نذكره في هذه المقالة بعون الله وتأييده شفاء الامراض التي يحيق نفسك لانا
وعلاجاتها ونذكر الاسباب والعلل التي تولدها ونحدث منها فان الحذاق لا يقدمون على علاج مرض جسماني الا
بعد ان يعرفوه ويعرفوا السبب والعلة فيه ثم يرومون معالجته باضداده من العلاجات ويبتدءون من الحمية
والادوية اللطيفة الى ان ينتهوا في بعضها الى استعمال الاغذية الكريهة والادوية البشعة وفي بعضها
الى القطع بالحديد والكي بالنار ولما كانت النفس قوية الهيئة خيرة جسمانية وكانت مع ذلك مستعملة لبدن
خاص ومربوطة به ربطا طبيعيا الهيا لا يعارف احدهما صاحبه الا بمشية الله الخالق جل وعلى وجب ان يعلم
ان احدهما متعلق بصاحبه متغير بتغيره فيصح بصحته ويمرض بمرضه ونحن نرى ذلك مشاهدة وعيانا بما يظهر
لنا من افعالهما وذلك انا كما نرى المريض من جهة بدنه لا سيما ان كان سبب مرضه احد الجزئين الشريفين اعني
الدماغ والقلب بتغير عقله ويمرض نفسه حتى ينكر ذهنه وفكره وتخيله وسائر قوى نفسه الشريفة وحين
هو ايضا من نفسه بذلك كذلك ايضا نرى المريض من جهة نفسه

اما بالغضب واما بالحزن واما بالعشق واما بالشهوات الهائجة به بتغير حالة بدنه حتى يضطرب ويرتعد ويصفر و
يحمر ويبزل ويسيل بلحقها ضرب المغايرة للشاهدة بالحس فيجب لذلك ان ينعقد مبدا امراض نفوسنا فان كان مبدأها
من انها كالفكر في الاشياء الردية احالة الراى فيها او كاستشعار الحزن والخوف من الامور العارضة او المتوقعة او
الشهوات الهائجة قصدنا علاجها بما يخصها وان كان مبداءها من المزاج او من الحواس كالحب الذى مبدئه
ضعف حرارة القلب مع الكسل والرفاهية وكالعشق الذى مبدؤه البطر مع الفراغ والبطالة قصدنا ايضا علاجها
بما يخص هذه ولما كان طب الابدان تنقسم بالقسمة الاولى قسمين احدهما حفظ صحتها اذا كانت حاضرة والاخر
ردها اليها اذا كانت غايبة وجب ان يقسم طب النفوس هذه القسمة بعينها ونتقدم فى حفظ صحتها اذا كانت
حاضرة فنقول اذا كانت النفس خيرة فاضلة تحب فضايل النفوس وتحرص على اصابتها وتشتاق الى العلوم الحقيقية
والمعارف الصحيحة فيجب على صاحبها ان يعاشر من يجانسه ويطلب من يشاكله ولا يانس بغيرهم ولا يجانس سواهم
ويحذر كل الحذر من معاشرة اهل الشر والنقص من المجان والجاهدين باصابة اللذات القبيحة وركوب الفواحش
والمفتخرين بها المتهتكين فيها ولا يصغى الى اخبارهم مستطيبا ولا يستحسن اشعارهم ولا يحضر مجالس سماعهم مستحبا وذلك ان
حضور مجلس واحد من مجالس سماع خبر واحد من اخبارهم وسماع ابيات واحد من اشعارهم يعلق من وضرها وسخبها بالنفس
ما لا يفسل عنها الا بالزمان الطويل والعلاجات الصعبة وربما كان سببا لفساد الفاضل لجهتك وغواية العالم
المستبصر حتى يصير فتنة لهما فضلا عن الحدث الناشى والمتعلم المسترشد والعلة فى ذلك ان محبة اللذات البدنية
والراحات الجسمية طبيعة للانسان لاجل النقصانات التى فيه فنحن بالجملة الاولى والفطرة السابقة اليها نميل
اليها ونحرص عليها وانما نزم انفسنا عنها بزمام العقل حتى نقف عند ما يرسم لنا ويقتصر على
المقدار الضرورى منها وانما استثنيت فى اول الكلام ما استثنيت وشرطت ما شرطت لان
..... معاشرة الاصدقاء الذين ذكرت احوالهم فى المقالة المتقدمة وحكمت بتمام السعادة معهم
وبهم لا يتم الا بالمؤانسة والمداخلة ولا بد فى ذلك من المزاج المستعذب والحديث المستطاف
والفكاهة المحبوبة واصابة اللذة التى يطلقها الشريعة ويقدرها العقل حتى لا يجاوزها الى الاسراف فيها
ولا تقصر عنها تماما بها وذلك ان الخروج الى احد الطرفين ان كان الى جانب الزيادة سمى بحونا وفسقا وخلاعة

خلافه وما اشبهها من اسماء الذم وان كان الى جانب النقصان سمى ذلة وعبوسا وسخافة وما اشبهها من اسماء
الذم ايضا والمتوسطة بينهما هو الظريف الذى يوصف بالمشاشة والطلاقة وحسن العشرة ويعرض من الصعوبة فى حق
هذا الوسط ما عرض فى سائر الفضائل الخلقية وفيما يوجد به من يحفظ صحة نفسه ان يلتزم وظيفة من الجزء
النظرى والجزء العملى لا يسوغ له الاخلال بها البتة يجرى النفس مجرى الرياضة التى يلتزم فى حفظ البدن
الاطباء يعظمون امر الرياضة فى حفظ صحة البدن وذلك ان النفس متى تعطلت من النظر وعدمت الفكر والغوص
على المعانى تبلدت وتبلهت وانقطعت عنها مادة كل خير واذا الفت الكسل وتبرمت الروية واختارت العطلة
قرب هلاكها الان فى عطلها هذه انسلاخا من مرتبتها الخاصة بها ورجوعا منها الى رتبة البهائم وهذا هى
الانتكاس فى الخلق نعوذ بالله منه واذا تعود الحدث الناسى من مبدا كونه الارتياض بالامور الفكرية ولازم
التعاليم الاربعة الف الصدق واحتمل ثقل الروية والنظر وانس بالحق وبنا قليه عن الباطل سمعه عن الكذب فاذا بلغ
اشده انتقل الى مطالعة الحكمة استطابه فيها وانشرت ما يستودع منها ولم يرد عليه امر غريب ولا يحتاج الى كثير تعب فى
فهم غوامضها واستخراج دفائنها ويصل الى سعادته التى ذكرناها سريعا وان كان حافظ هذه الصحة قد اخذ حظه
فى العلوم بارع فلا يحملنه العجب بما عنده من ترك الازدياد فان العلوم لا نهاية له وفوق كل ذى علم عليم ولا تشكن
فى معاودة ما علمته واتقنه على سبيل الدرس له فان النسيان آفة العلوم وليتذكر قول الحسن البصرى رحمه الله عن هذه
النفوس فانها طلعة وحادة عن الشريعة الذى نحن فيها واعلم ان هذه الكلمات مع قلة حروفها كثيرة المعانى وهى مع ذلك فصيحة
قد استوفت شرط البلاغة وليعلم ايضا حافظ هذه الصحة على نفسه انما يحفظ عليها نعماء شريفة موهوبة
لها كنوز عظيمة مدخورة فيها وملابس فخرة مفرغة عليها وان كانت من كانت هذه المواهب الجليلة موجودة له
فى ذاته لا يحتاج الى تطلبها من خارج ولا بذل الاموال فيها لغيره ولا يكلف العناء والمؤن الثقال فى تحصيلها
فليعرض عنها واهمل امرها حتى تسلخ عنها وعرى منها الملوم فى فعله معذور فى رائه غير رشيد ولا موفق ولا سيما وهو يحاط بالنعم الخارجة كيف يتحشمون الاسفار البعيدة الخطيرة ويقطعون السبل المخوفة الوعرة ويتعرضون
لنوب المكاره وانواع التلف من السباع العادية وطبقات الاشرار الباغية وهم يجتون فى اكثر
الاحوال مع مقاساة هذه الاهوال وربما عرضت لهم الذامات المفظعة والخسارات المتعبة التى

يقطع انفاسهم ويفصل اعضاء بعضهم عن بعض فان طفر البشر من مطالبهم كان لا محالة زائلا غير قريب ومعرضا للزوال وغير مطموع
في بقائه لانه من خارج وما كان خارجا عنها فهو غير ممتنع عما يطرقه من الحوادث التي لا تحصى كثرة وصاحبه مع هذه الحال
شديد الوجل دائم الاشفاق متعوب الجسم والنفس يحفظ ما لا يجدي حفظه سبيلا ويبالغ في الحذر عن ما لا ينجي فيه الحذر تعقيلا
وان كان طالب هذه الاشياء الخارجة عنا سلطانا او صاحب سلطان فقد حفت عليه هذه المكاره اضعافا كثيرة
بقدر ما يلابسه ويحسب ما يقاسيه من الاضداد والحساد على البعد من القرب وبكثرة ما يحتاج اليه من المؤن وفي استصلاح من
يليه وميل من يليه ومداراة من يواليه ويعاديه وهو في كل ذلك معلوم ومستبطأ ومعيب مقصر يريد جميع اهله وما
به ولا سبيل له الى ارضاء احد منهم فضلا عن جميعهم ولا يزال يبلغه عن اخص الناس من اولاده وحرمه ومن يجري مجراهم
من حاشيته وخوله ما يملأ غبطا وختفا فيغير ما على نفسه من تحمله مع التحاسد الذي بينهم من مكابدة الاعداء
اياهم ومواطأة الحساد لهم وجلبهم له من المكاره ما لم يكن عنده فمن اغنى عند الناس وهو اشدهم فقرا واحوجهم وعلى اكثرهم عيالا
وكيف لا يكون فقيرا واحد الفقير هو كثرة الحاجة فاكثر الناس حاجة اشدهم فقرا كما ان اغنى الناس اقلهم حاجة
ولذلك حكمنا حكما صادقا ان الله تعالى وحده اغنى الاغنياء لانه لا حاجة به الى شيء من الاشياء وحكمنا
ايضا ان اعظم الملوك منا اشد الناس فقرا لكثرة حاجته الى الاشياء ولقد صدق ابو بكر حيث قال في خطبته
اشقى الناس في الدنيا والاخرة للملوك ثم وصفه فقال ان الملك اذا ملكه هذه الله فيما في يده ورغبه فيما
في يد غيره وانتصبه شطر اجله واشرب قلبه الاشفاق فهو يحيد على القليل ويسخط الكثير ويسام الرضا ويقطع عنه
لذة اليها لا يستعمل العبر ولا يسكن الى الثقة فهو كالدرهم القسي والسراب الخادع عن ظل الظاهر من الباطن فاذا
وجبت نفسه ونضب عمره وصاط له حاسبه الله فاشد حسابه واقل عفوا الا ان الملوك هم المحرومون فهذه صفة
الملك اذا تمكن من ملكه لا يغادر منه شيئا ولقد سمعت اعظم من شاهدت من الملوك يستعيد هذا الكلام ثم
يستعيد الموقفة ما في قلبه وصدقه عن حاله وصوته ولعل من يرى ظاهر الملوك من الاسرة والفرش الرئية والاناث
ويشاهد هيئة مراكبهم محفوفين محشودين بين ايديهم الجنايب والمراكب والعبيد الخدم والحجاب والحشم يزيد ذلك
يظنون انهم مسرورون بما يراه لهم والذي خلقهم وكفانا امرهم اعلم في هذه الاحوال ذا هلوع اذا مسه البعد الى مشتهاه
بالافكار التي يعتريهم ويعتريهم فيما حكيناه من ضروراتهم وقد جرى بذلك في اليسير ما ملكنا فدلنا على

على الكثير مما وصفناه ولعل بعض من يصل الى الملك والسلطان يلتذ في مبدء امره مدة يسيرة جدا بمقدار ما يتمكن منه
ويفتح عينه ولكنه بعد ذلك يصير جميع ما ملكه كالشئ الطبيعي له لا يلتذه ولا يفكر فيه ويدع عينه الى ما لم يملكه فلو ملك
الدنيا بحذافيرها لم ينه دنيا اخرى او ترقب همته الى البقاء الابدي والملك الحقيقي حتى يتبرم بجميع ما وصل اليه
وبلغته قدرته وذلك ان حفظ الدنيا اصعب جدا لما في طبيعتها من الاختلال والتلاشي ولما يضطر الملك
اليه من الامور التي وصفناها والاموال المصروفة الى الجند المرتبطين والخدم المتوفقين والكتبة المعدة للافات
والاحداث التي لا يؤمن طروقها فهذه حال طلاب النعم الخارجة عنا فاما النعمة التي هي في ذواتنا فانها موجودة
عندنا وفينا وغير مفارقة لنا لانها مرهبة الخالق عز وجل فقد امرنا باستئثارها والترقي فيها فاذا اقبلنا امره
اثمرت لنا انعما بعد نعم ورقتنا في درجة فوق درجة حتى يوصلنا الى النعيم الابدي الذي وصفناه فيما تقدم
وهو الملك الحقيقي الذي لا يزول والغبطة الابدية الصافية التي لا تحول فمن احسن ضعفه اظهر سقطه
من اضاع جواهر نفسه باقية هي عنده وموجودة له وطلب اعراضا خسيسة فانية ليس عنده ولا هو موجودة
له فان اتفق ان يجدها لم يشق له ولم يترك عليه وذلك انها ينتقل عنه او ينتقل عنها لا محالة فلذلك
قلنا ينبغي لمن رزق الكفاية ووجد القصد من السعادة الخارجة ان لا يشغل بفضول العيش فانها بالآفات
ومن مطلبها اوقعته في مكاره لا نهاية لها وقد علمناك فيما تقدم ما الكفاية والقصد وان الغرض الصحيح
منها هو مداواة الآلام والتحرز من الوقوع فيها لا التمتع وطلب اللذة فان من عالج الجوع والعطش
اللذين هما مرضان والمان حادثان لا ينبغي له ان يقصد لذة البدن بل صحته كذلك سبيل الاحالة فان
طلب بالعلاج اللذة لا الصحة لم يحصل له الصحة فاما من لم يرزق الكفاية واحتاج الى السعي لا ضطر
في تحصيلها فيجب عليه ان لا يتجاوز القصد وقدر حاجته منها الى ما يضطر معه الى السعي الخبيث والحرص
الشديد والتعرض لمقابح المكاسب ومضاربات المهالك والمعاطب بل يجعل في طلبها العمال العارف بخساستها كما
يضطر اليها النعمة فيطلب منها ما يطلب سائر الحيوان من رضورياتها فان العاقل اذا تصفح احوالها وجد منها ما يأكل
السبتة ومنها ما يأكل الروث والخشف وهي مسرورة بما تجده من اقواتها قريرة العين بها وليست تحس من نفوسها
نقوصا ولا تقززا ولا تنصرف نفوسها عنها كما يتصرف نفوس الحيوان المضاد لها بل انما ينصرف عن اقوات تلك الاشراق

بضادها في النظافة ومثال ذلك الجعل والخنافس اذا قيست الى النحل فان تلك يهرب من الرائحة الطيبة والاقوات
النظيفة وهذه تطلبها وتسرع فاذن لنسبة كل حيوان الى قوته الخاص به كنسبة الحيوان الاخر الى قوته الخاص وكل مقتنع
بما يحفظ بقاءه وحيوته طالب لما يسره فينبغي ان ينظر الى اقواتنا بهذه العين وينزلها منزلة الحمل الذي يضطر الى ملابسها
لاخراج ما كنا نحرص على الوصول اليه فلا يبعدها من الاخر لانهما ضروريان لنا فنحن نلابسها لاجل الضرورة ولا يشغل
عقولنا باختيارهما والتمتع بهما وافناء اعمارنا في التانق لهما والتوصل اليهما ولا تتكاسل ايضا عن اعداد ضرورتنا منهما
وانما يفضل احدهما على الاخر ويستحسن السعي في طلب الداخل ولا يستحسن السعي في طلب الخارج لان الاول منهما هو غذاء موافق
لنا يخلف علينا ما تحللت من ابداننا وكما لا نستوحش ولا ننفر من ابداننا ولا نستقذرها كذلك لا يقرمها بضعة مكانت
ما ينقص منه ويذوب عنه واما الثاني منهما عصارة ذلك الغذاء ومائفة الطبيعة واجذب حاجتها منه اعني الذي
احالته ومصاصها فيا وفرقته في العروق على الاعضاء واطرحت الثقل الذي لا حاجة بها اليه وهو في غاية المخالفة والبعد من
امزجتنا فنحن لنستوحش منه وننفر عنه لاجل الضديه والمخالفة الا اننا مضطرون الى اخراجه وتنحيته ونقضه عنا
بالآلات الموهوبة لنا المستعملة في ذلك لمفرغ مكانه لما يأتي بعده ويجري مجراه وينبغي لحافظ الصحة على نفسه ان لا يحرك
قوته الشهوية ولا قوته الغضبية بتذكر ما اصاب منهما فوجد لذة بهما بل يتركهما حتى تتحركا لانفسهما واعني بهذا
ان الانسان ربما يذكر لذاته من اصابة الشهوات او مرائيه من كرامة السلطان وغيرها فاشتاق اليها واذا اشتاق
اليها تحرك نحوها واذا تحرك نحوها فقد جعلها عرضة له فيضطر الى استعمال الروية واستخدام النفس الناطقة فيه
ليدبر في الوصول اليه وهذه صورة من يديم اثارة عاديه ويهيج سباعها ضاريه ثم يلتمس مع ذلك منعها وكفها وليس
يختار العاقل لنفسه هذه الحال بل هو من افعال المجانين الذين لا يميزون بين الخير والشر ولا بين الصواب والخطاء فلذلك
يجب ان لا تتذكر اعمالها تين القوتين لئلا نشتاق اليها فنحركها نحوها بل نتركها فانها سيثوران لانفسهما ويهيجان عند
حاجتهما ويلتمسان ما يحتاج البدن اليه ويخدم من باعث الطبيعة ما يصيبك عن بعثهما بالفكر والتميز ويكون حينئذ فكرك
وتميزك في ازاحة علتهما وتقدير ما يطلقهما في الامر الضروري الواجب لابداننا الحافظ لصحتها وهذا هو مصداق مشيئة الله
وانما مشيئا لانه تعالى وتقدس انما وهب هاتين القوتين لنا لنستخدمهما عند حاجتنا اليهما لا لنتخذهما وننعبد لهما فكل
من استخدام النفس الناطقة في خدمة عبدها فقد جانب امر الله وتعدى حدوده وعكس شيئا وتقديرا ولا عدل اقسر

اشرف وافضل من شيء وتقديره فكل من خالف وعدل عنه فهو اعظم جابر على خالقه واعظم ظالم لنفسه وينبغي لحافظ
الصحة على نفسه ان يطلق نظره في كل ما يفعل ويدبر ويستعمل فيه الات بدنه ونفسه لئلا يجري فيها على عادة تقدمت
له مخالفة لما يوجبه تميزه وهويته فما اكثر ما يعرض للانسان ان يبتدئ منه فعل مخالف لما قدم فيه عزيمته وعقد عليه رأيه فمن
عرض له مثل هذا فيجب عليه ان يضع لنفسه عقوبات يقابل بها امثال هذه الذنوب فاذا انكر من نفسه مبادرة الى
طعام ضار او تراث حمية وقد كان استشعر بها او تناول فاكهة غير موافقة او حلوا لذلك عاقب نفسه بصوم لا يفطر فيه
الا على الطف ما يقدر عليه ولعله وان امكنه الطي فليطو ويزيد في الحمية من غير خارجة اليها ولكن في توابيعه لنفسه
ان يقول لها انك قصدت تناول النافع فتناولت الضار وهذا فعل من لا عقل له ولعل كثيرا من البهائم احسن حالا
منك لانه ليس فيها ما يقصد لذة لها ثم يتناول ما يؤلمها فاستمسك لان للعقوبة وان انكر من نفسه مبادرة
الى غضب في غير موضعه او على من لا يستحقه او زيادة على ما يجب منه فليقابل ذلك بالتعرض لسفيه يعرفه بالبداءة
ثم ليحتمله او ليبذل لمن يعرفه بالخيرية فمن كان لا يتواضع له قبل ذلك او ليفرض على نفسه ما لا يخرجه صدقه
وليجعل ذلك نذرا عليه لا يحل به وان انكر من نفسه كسلا وتوانيا في مصلحة له فليعاقب نفسه بسعي فيه مشقة او صلاة
فيها طول او بعض الاعمال الصالحة التي فيها كد وتعب وبالجملة فلترسم على نفسه رسوما تصير عليها فرايض وحدودا لا
تخل بها ولا ترخص فيها واذا انكر في نفسه مخالفة لعقله ويجاوز المرسوم ليحذر في جميع اوقاته ملابسة رذيلة او معاودة
رفيق او مخالفة صواب ولا يستحقون شيئا ثابتة من صغاير السيات ولا يطلبن رخصة فيها فان ذلك يدعو الى
ما هو اعظم منها ومن تعود في مبدإ نشوة وحدثان شبابه ضبط النفس عن شهواته والحلم عند ثورة غضبه وحفظ اللسان
وختم الى اوانه خف عليه ما يثقل على غيره ممن لا يتأدب بهذه الاداب وبيان ذلك انا نجد العبيد واشباههم اذا بلوهم
الى ليسفهوا عليهم ويشتموا اعراضهم هان عليه الخطب فيما يشتمونه حتى لا يوثر فيهم وربما ضحكوا عند سماع مكروه شديد
ضحكا غير متكلف ويعلمون عند ذلك اعمالهم وادعين طلقين غير قلقين وقد كانوا قبل ذلك شرسين غضوبين غير
محتملين ولا ممسكين عن الاجوبة والانتقام بالكلام وطلب الشفي بالخصام وهذه سبيلنا اذا الفنا الفضايل و
تجنبنا الرذايل وامسكنا عن مقابلة السفهاء ومجازاتهم والانتقام منهم ويجب على حافظ الصحة على نفسه ان يتشبه
بالملوك الموصوفين بالحزم فانهم يستعدون للاعداء بالعدة والعبيد والتحصن قبل هجوم العدو عليهم في معاملة من زمانهم

وفى اشاعة من نظر بهم ولو اغفلوا ذلك الى ان تحوم بهم الكمان وتطرقهم الشدايد لا ذهلوا الامر من الجهالة وعن الراى السديد
فعل هذا الاصل يجب ان يبنى الامر فى الاستعداد لاعدائنا من الشرة والغضب وسائر ما ذكرنا من اصنافها ان نتعود الصبر عليه
الصبر عليه والحلم عمن ينبغى ان نحلم عنه ونضبط النفس عن الشهوات الردية ولا نتطرق بدفع هذه الرذايل فى وقت هيجانها فان الامر
عند ذلك صعب جدا ولعله غير ممكن البتة ويجب علينا حافظ الصحة على نفسه ان نتطلب عيوب نفسه بالاستقصاء الشديد كما يقع
بما قاله جالينوس فى ذلك كما نذكره فى كتابه المعروف بتعرف المرء عيوب نفسه انه لما كان كل انسان يحب نفسه خفيت عليه
معايبه ولم يدرها وان كانت ظاهرة واشار فى كتابه هذا بان يختار من يحبه ان يبرء من العيوب صديقا كاملا فاضلا
فيخبره بعد طول المؤانسة انه انما يعرف صدقه وصحبته اذا صدقه عن عيوبه حتى يجتنبها ويأخذ عهده على ذلك ولا يسخط منه اذا قال
له لا اعرف لك عيبا بل يعتب عليه وينكره ما يقوله لعلمه انه قد اقتحم الخيانة ويعاود مسئلته والالحاح عليه فان اخبره
بشئ من عيوبه فليظهر مسرة رقيقة وعتبا يجاور به الى الرغبة اليه فان من اخبره بشئ من عيوبه زاد قليلا قليلا اذا اخبره ببعض ما يعتذر
منه فلا يظهر له فى وجهه او كلامه كراهية ولا انقباض بل يبسط له وجهه ويظهر السرور بالخبر اليه وينبغى ان يشكره على
الدوام وفى اوقات المؤانسة يتطرق له الى هذا ميله اليه ثم ليعالج ذلك العيب بما يزيل اثره ويحول حاله ليعلم ذلك المهدى اليك عيبك
انك من وراء صلاح نفسك وفى طريق علاج مرضك فلا ينقبض عن معاودتك ونصيحتك وهذا الذى اشار به
جالينوس معوز غير موجود ولا مطموع فيه ولعل العذر فى هذا الموضع انفع من الصديق فان العدو لا يحتشم فى اظهار عيوبنا
بل يتجاوز فيما يعرف منها الى التحرض والتكذب بها فتشتبه على كثير عيوبنا من جهتهم وبجالينوس ايضا مقالة يخبر فيها ان
اخيار الناس ينتفعون باعدائهم وهذا صحيح لا يخالف فيه احد وذلك لما ذكرناه فاما ما اختاره ابو يوسف يعقوب
بن اسحق فى ذلك فهو ما احكيه بالفاظه وهو هذا قال ينبغى لطالب الفضيلة ان يتعاهد صوت جميع معارفه من الناس مرارا
له تربه صورة كل واحد منهم عند ما يعرض من الامور التى تثير السياسة حتى لا يغيب عنه شئ من السيئات التى له وذلك انه يكون
متفقدا لسيئات الناس حتى رأى سيئة مادية من احدهم نفسه عليها كانه هو فعلها او اكثر عتبه على نفسه من اجلها ويعرض على نفسه فى اخر
كل يوم وليلة جميع افعاله حتى لا يشذ عنه منها شئ كما نحن مجتهدون بان نحفظ انفسنا من الجارية الدنية والارمدة الفاسدة
الغريبة منا التى لا يبغضنا عدوها البتة فى كل يوم ولا يحفظ ما يتفق من ذواتنا التى تبقى فيها اثقافا وتنقصنا بها
فناؤنا فاذا وقفنا على سيئة من افعالنا الشنيعة حدثنا انفسنا عليها ثم نقيم عليها جدا فريضة ولا نضيعها واذا تصفحنا افعالنا

افعالى غيرنا ووجدنا فيها سيئة عابتنا ايضا نفوسنا عليها فان النفس تمتنع حينئذ عن المساوى
صنايال لا يتشاهاره لا يأتى عليها زمان طويل فتعفى ذكرها فلذلك ينبغى ان نعمل فى الحسنات لنتشرع اليها ولا
يفوتنا شئ منها قال وينبغى ان لا يقتنع ان نصير اشباه الدفاتر الكتب التى يفيد غيرها معانى الحكمة وهى عادمة
اقتنارها كالمسان التى يشحذ ولا يقطع بل يكون كالشمس المفيدة النور كلما اشرقت عليه انارة من فيض نورها
فيفعل انا ما احتى لها شبها وان قصر عن نورها فكذا ينبغى ان يكون حالنا اذا فوزنا بغيرنا الفضايل هذا الذى
ذكره الكندى فى ذلك ابلغ مما قاله من تقدمه القول فى رد الصحة على النفس ان لم يكن حاضرة وهو القول
فى علاج امراضها ستذكر ايضا بذكر اجناس هذه الامراض الغالبة ثم مداواة الاعظم فالاعظم منها فالاكبر فالاكبر
منها جنابة فنقول اما اجناسها العالية فى مقابلات الفضايل الاربع التى احصيناها فى مبدا الكتاب ولما كانت
الفضايل اوساطا محدودة واعيانا موجودة امكن ان نطلب ونقصد وننتهى اليها بالحركة والسعى والاجتهاد واما
النقط التى ليست باوساطها فانها غير محدودة ولانها اعيان موجودة وجودها بالعرض لا بالذات ومثال
ذلك ان الدايرة لها مركز واحد وهى نقطة واحدة لها وجود فى ذاتها يقصد ويشار اليها وان لم نجد لها حسا
ولم يمكننا الاشارة اليه امكننا استخراجها واقامة البرهان عليها وانها هى المركز دون غيرها من النقط واما التى
ليست بمركز فهى بلا نهاية ولا وجود لها بالذات وانما يوجد اذا وضعت فرضا وليست لها عين ثابتة فلذلك لا تقصد
ولا يمكن استخراجها لانها مجهولة ولانها شايعة فى جميع بسيط الدايرة فاما الطرفان اللذان يسميان متضادين
فهما موجودان معينان لانهما طرفا خط مستقيم معين والبعد بينهما غاية البعد ومثال ذلك اما اذا اخرجنا
من مركز الدايرة خطا مستقيما الى المحيط صار طرفه محدودين احدهما المركز والاخر فضيلته والبعد بينهما غاية
البعد ومثاله من المحسوس البياض والسواد فان احدهما مضاد للاخر وهما محدودان والبعد بينهما غاية البعد فاما
الاوساط التى بينهما فهى بلا نهاية وكذلك الالوان هى بلا نهاية واما اطراف الفضيلة فلما كانت اكثر من واحد
لم يتم ضدا الان لكل ضد ضدا واحدا ولا يمكن ان يوجد اضداد اكثيرة لضد واحد والسبب فى ذلك
ان البعد بينهما غاية البعد وتحت غاية الفضيلة الواحدة اكثر من شخص واحد وذلك اذا اخذنا الفضيلة مركزا
واخرجنا منه خطا مستقيما الى محيط له نهاية امكننا ان نخرج من جانب المقابل له خطا اخر على استقامة

له نهاية اخرى ويصيران جميعا متقابلين المركز الذى فرضناه فضيلة الا ان احدهما يجرى مجرى الافراط والغلو والاخرى يجرى مجرى التفريط والتقصير اذا قد فهمت ذلك فليعلم ان لكل فضيلة طرفين محدودين يمكن الاشارة اليهما واوساط بينهما كثيرة لا نهاية لها ولا يمكن الاشارة اليها الا ان الوسط الحقيقى هو واحد وهو الذى سميناه فضيلة ونريد الان بحسب هذا البيان ان نجعل الرذايل ثمانية لانها اضعاف الفضايل الاربع التى تقدم شرحها وهى هذه التهور والجبن طرفان للوسط الذى هو الشجاعة الشره والخمود طرفان للوسط الذى هو العفة البله والذهاء طرفان للوسط الذى هو الحكمة الجور والمهانة اعنى الظلم والانظلام طرفان للوسط الذى هو العدالة وهذه اجناس الامراض العالية التى يقابل الفضايل التى هى صحة النفس وتحت هذه الاجناس انواع لا نهاية لها ونتذكر التهور والجبن اللذين هما طرفا الشجاعة وهى فضيلة النفس وصحتها فنقول ان سببها ومبداها النفس الغضبية ولذلك صارت البلية باسرها من علايق الغضب والغضب بالحقيقة هو حركة النفس يحدث بها غليان دم القلب شوقا للانتقام فاذا كانت هذه الحركة عنيفة اجتمعت نار الغضب واضرمتها واحتدغليان دم القلب واشتعلت الشرايين والدماغ دخانا مظلما مضطربا يشوش منه حال العقل ويضعف فعله ويصير مثل الانسان عند ذلك على ما حكاه الحكماء مثل كهف على جريقا واضرم نارا فاحتبق فيه اللهب والدخان وعلامته الاجيج والصوت المسمى حمى النار فيصعب حينئذ ويتعذر اطفاءه ويصير كلما تدنيه منه الاطفاء سببا لزيادته ومادة لقوته فلذلك يعمى عن الرشد ويصم عن الموعظة بل يصير الواعظ كلما فى تلك الحال سببا للزيادة فى الغضب ومادة للهيب والتاجج وليس يحمله فى تلك الحال حيلة وانما يتفاوت الناس فى ذلك بحسب المزاج فان كان المزاج حارا يابسا كان وثوب الحال من حال الكبريت الذى اذا ادنيت منها الشرارة الصغيرة التهب وان كان باردا صارت حاله بالضد وهذا فى مبداء امره وعنفوان حركة الغضب فاما اذا احتدم فيكاد الحال يتقارب فيه ونصور ذلك ومن الحطب اليابس والرطب وقبل مبداء اشتعال النار بسرعة وشدة من الكبريت الفطر ثم الحدر منها الى الادهان المتوسطة الى ان ينتهى الى الاحتكاك فان الاحتكاك وان كان ضعيفا فى توكيد النار وتبايقوى حتى يلتهب منه الاجمة العظيمة والغيضة الاشبة الملتفة كذلك مثال السحاب الذاكم من الغيارين كيف تحتك حتى يقدح بينهما النيران وينزل منهما الصوعق التى تثير نارها فى الارض والمواد ولا يفارق ما يتعلق به حتى يصيره رمادا او كان جبلا اطلس وحجرا اصم واما سقراط فيقول ان المسعة اذا

[illegible]

اذا عصفت بها الرياح وتلاطمت عليها الامواج وقذف بها الى لجج التى فيها الجبال ارجى فى الغضبان المتلب
وذلك ان السفينة فى تلك الحال تلطف بها الملاحون ويخلصونها بضرب الحيل فاما النفس اذا استشاطت غضبا
فليس يرجى لها حيلة البتة وذلك ان كل مارمى به الغضب من التصرع والموعظة والخضوع يعتبره بمنزلة الجزل من الحطب
يوجبه ويزيده اسعارا فاما اسبابه المؤكدة فهى العجب والافتخار والمرا والجاج والمزاح والمنيه والاستهزاء والغدر والضيم
طلب الامور التى فيها عزة ويتنافس الناس فيها ويتحاسدون عليها وشهوة الانتقام غاية لها لانها باجمعها تنتهى اليه ومن
لواحقه الندامة وتوقع المجازاة بالعقاب عاجلا واجلا وتغير المزاج وتعجيل الالم وذلك ان الغضب حينما ساعده وربما
ادى حال التلف باختناق حرارة القلب فيه وربما كان سببا لامراض صعبة علاجية الى التلف ثم مقت الاصدقاء
وشماتة الاعداء واستزراء الحساد والاراذل ولكل واحد من هذه الاسباب علاج يبدأ به حتى يقطع من اصله فاما اذا اتفقنا
بحسم هذه الاسباب واماطتها فقد اوهنا قوة الغضب وقطعنا مادته وامنا غائلته فان عرض لنا منه عارض
كان بحيث يطيع العقل ويلتزم شرائطه وحدثت فضيلة اعنى الشجاعة فنكون حينئذ اقدامنا على ما تقدم عليه كما
يحب وبحيث يجب وبالمقدار الذى يجب وعلى من يجب اما العجب فحقيقته اذا حدثناه انه ظن كاذب بالنفس فى استحقاق
مرتبة هى غير مستحقة لها وحقيق على من عرف نفسه ان يعرف كثرة العيوب او النقصانات التى يعتورها وان الفضل
مقسوم بين البشر وليس يكمل الواحد منهم لافتضاحه بل غيره وكل من كانت فضيلته عند غيره واجب عليه ان لا يعجب بنفسه
وكذلك الافتخار فان الفخر هو المباهاة بالاشياء الخارجة عنا ومن باهى بما هو خارج عنه فقد باهى بمن لا يملكه و
كيف يملك ما هو معرض للافات والزوال فى كل ساعة وكل لحظة ونسأل على نقته منه فى شئ من الاوقات
واما الاغتمال واحدتها اغتيلة فما قال الله عز وجل حيث قال واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب
الى قوله فاصبح يقلب كفيه على ما انفق فيها وهى خاوية على عروشها ثم قال تعالى واضرب لهم مثل
الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فاصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل
شئ مقتدرا وفى القرآن من هذه الامثال شئ كثير وكذلك فى الاخبار المروية عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم
واما الفخر فبكثرة ما يدعيه اذا كان صادقا فان الباهى كان فاضلا فلو حضر ذلك الفاضل وقال ان الفضل لله يؤتيه
من يشاء وليس فى ذلك فخر عندك منه مما ليس عندك لكان اسكنه وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

في هذا المعنى اخبار صحيحة منها انه قال عليه السلام لاناتوني باسنابكم واتوني باخمصكم وحكي عن علي بن الحسن كان بعض الفلاسفة انه افتخر عليه بعض رؤساء زمانه فقال له ان افتخرت على بفرسك فالحسن والزهمة للفرس لا لك وان افتخرت بزيك ولانك فالحسن لجادونك وان افتخرت بابائك فالفضل كان فيهم دونك فاذا كانت المحاسن الفضائل خارجة عنك وانت منسلخ منها وقد رددناها على اصحابها بل تخرج عنهم فترد عليهم فانت من وحكي عن بعض الفلاسفة انه دخل على بعض اهل اليسار والثروة وكان يحتشد في الزينة ويفرش بكثرة ماله والانه وحضرت الفيلسوف برقة فجمع لها والتفت في البيت يمينا وشمالا فتبرقت في وجهه صاحب البيت فلما عوتب على ذلك قال اني نظرت الى البيت وجميع ما فيه فلم اجد هناك ما اتجمع منه فبرقت وهكذا ينبغي ان يكون نفيسا من فضائل نفسه وافتخر بالخارجات عنه واما المزاح والمجاج فقد ذكرنا جمع صورتهما في المقالة التي قبل هذه وما يوله انه من الشتائم والفرقة والتباغض بين الاخوان واما المزاح فان المقدار المعتدل منه محمود وكان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يمزح ولا يقول الا حقا وكان امير المؤمنين عليه السلام كثير المزاح حتى عابه بعض الناس به فقال لولا دعابة فيه ولكن الوقوف على المقدار المعتدل منه صعب اكثر ينبغي به ولا يدري اين يقف منه فيخرج عن حده ويرد الزيادة فيه على صاحبه حتى يصير سببا للوحشة فيثير غضبا كامنا ويزرع حقدا باقيا فلذلك عدنا في الاسباب فينبغي ان يحذر من لا يعرف حده وتذكر قول القائل رب مهذار اللعب بعض الكل اهله مزاح ثم صحيح فتنة لا تهتدي لعلاجها واما التنبيه فهو قريب من التعجب والفرق بينهما التعجب ينفسه يكذب نفسه فيما يظن بها والتنبيه بينه على غيره ولا يكذب نفسه الا ان علاجه علاج التعجب بنفسه وذلك بان يعرف ان ما يتيه به لا مقدار له عند العقلاء وانهم انما لا يعتدون به لحسة اقدره ونزارة حظه من السعادة لانه متغير زايل غير موثوق ببقائه واما الاستهزاء فانما يستعمله الجهال من الناس المباشرة من لا يبالي بما يقابل به لانه قد وضع في نفسه احتمال مثل ذلك ولضعافة قوى حاله قرير العين بضروب الاستخفاف التي تلحقه وانما يتعيش بالدخول تحت الذلة والصغار لما يتعرض بقليل ما يجري له الكثير مما يأمل من اصحاب غيره ونيال اليسير من زخارف الفاضل بعيد من هذا المقام جدير بكرم نفسه ورفعة قدره عن تعريضها للسفهاء ولا يتبع جميع خزائن الملوك فضلا عن الحقير المنافر واما القدر فوجوهه كثيرة اعني انه قد يستعمل في المال وفي الجاه وفي الحسب وفي المروة وهي على كثرة وجوهه مذمومة بكل لسان معيبة عند كل احد يغبط السامع من ذكره ولا يعترف به الانسان وان قل حظه من الانسانية وليس يوجد الا في جنس من اجناس الحيوانية فاهم الناس بانفسهم سائر اجناس الحيوان ذلك ان الوجه الذي

موجود في جنس الروم والحبشة والنوبة وقد شاهدنا من حسن وفاء كثير من العبيد ما لم نشاهده في كثير من المتسمين بالاحرار
ومن هنا قبح العلماء باسمه ونفوا العقلاء منه ثم عرف معناه فليس يستحقه خاصة من له طبيعة جيدة او قوة ما تقدم
في هذا الكتاب ان تخلق به وانتهى في قرائه الى هذا الموضع فاما الضيم فهو تكليف احتمال الظلم والغضب انما يعرض انفة
منه وشهوة للانتقام وقد ذكرنا فيما تقدم حال الظلم والانظلام وشرحنا الحال فيهما فينبغي ان لا نسترسل الى الانتقام
عند ضيم يلحقنا حتى ننظر فيه ونتجرد ان لا يعود علينا الانتقام بضرر اعظم من احتمال ذلك الضيم وهذا النظر والتجرد
هو استشارة العقل فهو الحكم بعينه فاما طلب الاموال التي فيها عزة ويتنافس فيها الناس فهو خطأ من الملوك والعظماء
فضلا عن اوساط الناس وذلك ان الملك اذا حصل في خزائنه على كريم نفيس فهو متعرض به للجزع عليه عند
فقده ولا بد من حلول الآفات به لما عليه طبيعة العالم اعني عالم الكون والفساد من تغير الاموال واحالتها
وادخال الفساد على كل ما يدخر ويقتنى فاذا فقد الملك ذخيرة عزيزة الوجود ظهر عليه ما يظهر على الجزع المصاب بما يعز عليه و
يبين من فقده الى نظيره الذي لا يجده فيطلع الصديق والعدو على حزنه وكآبته وحكي عن بعض الملوك انه اهدي اليه قبة
بلوط صافية عجيبة النقاء محكمة الخرط قد استخرج منها اسطوانين وصفي وخاطر بهما انهما مرة بعد اخرى في تخليص النفوس و
الحروق والتجاويف التي بين الصدور والاوراق فلما حصلت بين يديه كثر تعجبه منها واعجابه بها وامر بها فوضعت في خاص خزانته فلم
يات عليها كثير زمان حتى اصابها ما يصيب امثالها من المتالف وبلغ ذلك الملك فظهر من الاسف والجزع ما منعه من التصرف
في امره والنظر في مهماته والجلوس بمجلسه وحاشيته واجتهد الناس في وجود شيء شبيه به فتعذر عليهم فظهر ايضا من عجزه
واستيلاء مطلوبه عليه ما تضاعف به جزعه وحسرته فاما اوساط الناس فانه متى ادخر الله كرمية وجوهر نفيسا واتخذوا
مركوبا فاخرا وما اشبه هذه الاشياء المتهما منه من لا يمكن رده عنها فان صابره عنها وعجل عليه بها فقد عرض نفسه
للبلوى وان سمح بها لحقه من الجزع والغم ما كان مستغنيا عنه فاما الاحجار المتنافس فيها من الياقوت واشباهها مما يتعذر
عنه الآفات في انفسها فليس تتعذر عنها الآفات الخارجة منها من السرقة ونحوها الحيل فيها واذا ادخر الملك قل انتفاعه بها
عند حاجته اليها وربما عدم الانتفاع بها دفعة وذلك ان الملك اذا اضطر اليها لم ينفعه في عاجل امره وحاضر ضرورته وقد
شاهدنا اعظم الملوك خطرا في عصرنا لما احتاج اليها بعد فناء امواله ونفاد ما في خزائنه وقلاعه لم يجد منها الا قريبا من ثمنها عند
احلام يحصل منها الا على الفضيحة في حاجته الى رعيته في بعض قيمتها وهو لا يقدر على قليل ولا كثير من اثمانها وهي مبذولة

بستلة فى ايدى الملاحين والتجار والتى يتجبى منها ولا يقدرون عليها ان قدر منهم على اخر شئ منها تجاسر عليه خوفا
من تتبيعه بعد ذلك وظهوره امن فينتزع منهم فمن هذا حال هذه الذخاير عند الملوك شاهدنا التجار الذين يسمون بهذه التجارة فى
اضيق الزمان صاروا يكونون من الاغنياء وامن من السرب وحينئذ يكون بضاعتهم شبيه بالكاسدة لانها لا تتحقق الا على الملوك
الواحد عين الذين لا يحرجهم شئ من نوائب الدهر وقد استمر بهم الحضض وفصلت ما سواهم عن الخزاين والقلاع فحينئذ يغتنم
بالزمان فيقعدون فى مثل هذه الخدايع ثم يؤول عاقبتهم الى ما حذرنا منه فهذه اسباب الغضب والامراض الحادثة
منها وقد ذكرنا علاجاتها وحذرنا من اسبابها والوقوع فيها ومن عرف العدالة التى نخلق بها كما كتبناه فيما تقدم سهل
عليه علاج هذا المرض لانه جور يخرج عن الاعتدال ولذلك لا ينبغى ان نسميه باسماء المديح واعنى بذلك
ان قوما يسمون هذا النوع من الجور اعنى الغضب فى غير موضعه رجولية وشدة مشكلية ويذهبون به مذهب الشجاعة
التى هى بالحقيقة اسم مدح وشتان ما بين المذهبين فان صاحب هذا الخلق الذى ذممناه يصدر عنه افعال رديئة
كثيرة يجنى فيها على نفسه ثم على اخوانه ثم على الاقرب فالاقرب من معاملته حتى ينتهى الى عبيده وخدمه وحرمه فيكونون عليه سوط
عذاب لا يقيلهم عثرة ولا يرحم لهم عبرة وان كانوا براؤا من الذنوب غير مجرمين ولا مكتسبين شيئا بل يتجرم عليهم
ويهيج من ادنى سبب ثم طريقا اليه حتى ببسط لسانه ويده عليهم ثم لا يمتنعون منه ولا يتجاسرون على رده عن انفسهم
بل يذعنون له ويقرون بذنوب لم يقترفوا استكفافا للشره وتسكينا للغضب وهو فى ذلك مستمر على طريقته لا يكف
يدا ولا لسانا وربما تجاوز فى هذه المعاملة الناس الى البهائم التى لا تعقل والى الاوانى التى لا تحس فان صاحب هذا
الخلق الردى ربما قام الى الحمار والبرذون والى الحمام والعصفور فيستبنا لها بالضرب المكروه وربما اعضل العقل
اذا قصر عليه وكسر الانية التى لا يجد فيها طائحة لامره وهذا النوع من رداءة الخلق مشهور فى كثير من الجهال
يستعملونه فى الثوب والزجاج والحديد وسائر الالات واما الملوك من هذه الطائفة فانهم يغضبون على الرياح والماء
اذا هبت بغير الذى يلائمهم وعلى القلم اذا لم يجر على رضاهم فيسبونه ذلك ويكسرون هذا وكان بعض من تقدم عهده من
الملوك يغضب على البحر اذا تحرك فى سفينته لاضطرابه وحركاته الموجبة حتى ربما يطرح الجبال فيه وطمعا وكان بعض
السفهاء فى عصرنا يغضب على القمر ويحوجه لشره مشهور وذلك انه كان يتأذى به اذا نام فيه وهذه الافعال كلها قبيحة و
بعضها مع قبحه مضحك بنزاء لعمرى قبيح يليق بالرجولية والشدة وشرف النفس وعزتها وهى بالمذمة اخرى المضحكة اولى

ربما ... ربما ... ربما ...

اول منها بالتدريج وترى حظها في العزة والشدة وتجدها في النساء اكثر منها في الرجال وفي المرضى الضعفاء اقوى منها في الاصحاء الاشداء وتجد الصبيان اسرع غضبا من الرجال والشيوخ واكثر ضجرا من الشبان وتجد رذيلة الغضب مع رذيلة الشره فان الشره اذا اقتدر على ما يشتهيه غضب وضجر على من يحول بينه وبين طعامه وشرابه ومن نسائه وخدمه ومن يلابس امره والبخيل اذا افتقد شيئا من ماله يسرع بالغضب على احدة ثم وعلى الطبيب وقد جبت قحتنا الى اهل الثقة من خدمه ومواليه وهؤلاء الطبقة لا يحصلون من اخلاقهم الا على فقد التصديق وعدم النصيح على الندم السريع واللوم الوجيع وهذه خلال لا يلتئم معها غبطة ولا سرور وصاحبها ابدا محزون كئيب منغص لعيشه منكد بما مولاه وهي حال الشقي المرجوم فاما الشجاع العزيز النفس فهو الذي يقهر بحلمه غضبه ويتمكن من التمييز والنظر فيما يكسبه ولا يستفزه ما يرد عليه من المحركات لغضبه حتى يروي وينظر كيف ينتقم وممن وعلى اي قدر وكيف يصفح ويغضي وعمن وفي اي وقت وقد حكي عن الاسكندر الملك انه رقي اليه عن بعض اصحابه انه يعتبه وينتقصه وقال له بعض نصحائه لو ادبته ايها الملك بعقوبة تتحكك فقال له كيف يكون ذلك بعد عقوبتي له في قتلي وحلب معائبي لانه حينئذ ابسط لسانا واعذر عند الناس ولكني يوما ببعض اعدائه من المتغلبين الخارجين عليه وكان قد عاث في الطرف عيثا كثيرا فصفح عنه فقال له بعض جلسائه ولكنك اقلت نقمته فقال الاسكندر لساذا لم اكن انا انت فلست تقاتله وقد ذكرنا معظم اسباب الغضب وحد الفاعل على معالجتها وحسبها وهو النوع الاخطر من امراض النفس واذا اقدم الانسان في حسم سببه لم تحس البنه منه وكان ما يعرض منه سهل العلاج قريب الزوال لا مادة له تطيبه ما يسنده ولا سبب يشبهه ويوقده ويجدد رؤيته موضعا لاجالة النظر والفكر في فضيلة الحلم واستعمال المكافاة ان كان صوابا او التغافل ان كان جزما والذي يتلو معالجة هذا النوع من امراض النفس معالجة الجبن الذي هو الطرف الاخر من خلق واحد واذ كانت الاضداد تعرف بعضها من بعض كنا قد عرفنا الطرف الذي هو حركة النفس عنيفة قوية يحدث منها غليان دم القلب شهوة الانتقام فقد عرفنا اذن مقابله اعني الطرف الاخر الذي هو سكون النفس عند ما يجب ان يتحرك فيه وبطلان شهوة الانتقام وهذا هو سبب الجبن والخور ويتبعه مهانة النفس وسوء العيش وطمع الاذناب وغيرهم من الاهل والولد وسائر المعاملين وغلبة الشهامات والصبر في المواطن التي يجب فيها الثبات وهو ايضا سبب الكسل ومحبة الراحة اللذين هما سببا كل رذيلة ومن ان احتقر الاستخفاء لكل احد والرضا بكل مذلة وضيم والدخول تحت كل فضيحة في النفس والولد والاهل وسماع كل قبيحة وفاحشة من الشتم والقذف واحتمال كل ظلم من

كل معاملة وقلة الالفة مما يالف منه الناس الاخر وعلاج هذه الاسباب الموجبة يكون باضدادها وذلك
بان توقظ النفس التي تمرض هذا المرض بالحزن والتحريك فان الانسان لا يخلو من القوة الغضبية راسا حتى يجب ان يكون
اخر لكنها تكون ناقصة عن الواجب فهي بمنزلة النار الخامدة التي فيها بقية لقبول الريح والنفخ فهي تجيء الاحالة اذا حرك بما
يلايمها وثبت ما في طبيعتها من التوقد والتلهب وقد حكي عن بعض المتفلسفين انه كان يتعمد مواطن الخوف فيقف فيها ويتعمل
على الخاطرات العظيمة بالتعرض لها وتركب البحر عند اضطرابه ويهيج اليه نفسه الثبات في الخاوف ويحرك منها القوة التي تتكون
عند الحاجة الى حركتها ويخرجها عن قبيلة الكسل والوحشة ولا يكره لصاحب مثل هذا المرض بعض المرض والتعرض للاحاة وخصوصه
من يا من غايلته حتى يقرب من الفضيلة التي هي وسط بين الرذيلتين اعني الشجاعة التي هي صحة النفس المطلوبة واذا وجدها واحسم
بها من نفسه كف ووقف ولم يجاوز حذرا من الوقوع في الجانب الاخر الذي علمناك علاجه لما كان الخوف الشديد في
غير موضعه من امراض النفس وكان متصلا بهذه القوة وجب ان نذكر ونذكر اسبابه وعلاجه فنقول ان الخوف يعرض من توقع امر مكروه
وانتظار محذور والتوقع والانتظار انما يكونان لحوادث في الزمان المستقبل وهذه الحوادث ربما كانت عظيمة وربما كانت
يسيرة وربما كانت ضرورية وربما كانت ممكنة والامور الممكنة ربما كنا نحن اسبابها وربما كان غيرنا سببها وجميع هذه الاقسام
ليس ينبغي للعاقل ان يخاف منها اما الامور الممكنة في الجملة مترجحة بين ان يكون وبين ان لا يكون وليس يجب ان يصمم على انها تكون
فيستشعر الخوف منها ويتعجل مكروه التالم بها وهي بعد لم تقع ولعلها لا تقع وقد احسن الشاعر في قوله ـ وقل للفواد ان
تراءك نزوة ـ من الروع فرح الروع باطله ـ فهذه حال ما كان منها عن سبب من خارج وقد اعلمناك انها ليست
من الواجبات التي لا بد من وقوعها وما كان كذلك فالخوف من مكروهه يجب ان يكون على قدر حدوثه وانما يحسن العيش و
يطيب الحياة بالنظر الجميل والامل القوي وترك الفكر في كل ما يمكن ان لا يقع من المكاره واما ما كان سببه اختيارا
وحياتنا على نفسنا فينبغي ان نحترز منه بترك الذنوب والخيانات التي تخاف من افتها ولا نقدم على امر الا ناس غايلته
فان هذا العمل من ينسى ان الممكن هو الذي يجوز ان يكون ويجوز ان لا يكون وذلك انه اذا اتى ذنبا وخفي خيانة
قد رفي نفسه يخفى فلا يظهر او لا يخفى فيظهر الا انه يجوز ان لا يعاقب عنه او لا يكون له غايلة وكانه يجعل لجميع الممكن واجبا كما
ان حد هذا القسم الاول يجعل لجميعها الممكن واجبا الا ان هذا يأمن جانب الحذر وخاصة وذلك يخاف الجانب الذي هو غائب
اعني بهذا ان الممكن لما كان متوسطا بين الجانب الواجب والجانب الممتنع صار كالشيء الذي له جهتان احدهما تلي

الانفعال الذي يعرض للنفس من الخوف وتدبير علاجه

تلى الواجب والاخرى تلى الممتنع وسأل ذلك خط ا ح ب فنقطة ا هى الجانب الواجب ونقطة ب هى الجانب الممتنع ونقطة ح هى الممكن وبعده من الجانبين بعد واحد فاذا خرجنا من نقطة ا جهة ب الى نقطة ب جهة واذا صار مستقبلة ماضيا بطل اسم الممكن عنه وحصل لما فى جانب الواجب ما فى جانب الممتنع وليس ينبغى ما دام ممكنا ان يحسب لا من هذا الجانب ولا من ذاك الجانب بل يعتقد فيه طبيعة الخاص وبيانه ليكن ان يصير الى ههنا والى هنالك ولهذا قال الحكيم وجود الامور الممكنة فى اعقابها واما الامور الضرورية كالهرم وتوابعه ومن احب طول العمر فقد احب الهرم واستشعر استشعارا لا بد منه ومع الهرم يحدث نقصان الحرارة الغريزية والرطوبة الاصلية النابعة لها وغلبة اضدادهما من البرد واليبس وضعف الاعضاء الاصلية كلها ويتبع ذلك قلة الحركة وبطلان النشاط وضعف الات الهضم وسقوط الات المضغ ونقصان القوى المدبرة للحيوة اعنى القوى الجاذبة والدافعة والممسكة والغاذية وسائر ما يتبعها من مواد الحيوة وليست الامراض والآلام شيئا غير هذه الاشياء فتتبع ذلك مرت الاحباب وفقد الاعزة فلنستشعر لها الملتزم ولنشرائطها فى مبدء كونه لا يخاف منها بل ينتظرها ويرجوها ويدعى الذى هو اغنى الى الله تعالى فيها عند الصلوات وفى المساجد والمشاهد فهذه جملة الكلام على الخوف المطلق ولما كان اعظم الخوف الا انثنا منه هو الخوف من الموت وكان هذا الخوف عاما وهو مع عمومه اشد وابلغ من جميع الخاوف وجب ان نقدم الكلام فيه فنقول ان الخوف من الموت فليس يعرض الا لمن لا يدرى ما الموت على الحقيقة او لا يعلم الى اين تصيره او لانه يظن ان بذاء اذا انحل وبطل تركيبه فقد انحل ذاته وبطلت نفسه بطلان عدم وتلاشى ان العالم سيبقى مرجوا والميت هو مرجو فيه كما يظنه من جعل بقاء النفس كبقية المعاد او لانه يظن ان الموت الما عظيما غير الام الامراض التى ربما تقدمت واحدت اليه وكانت سبب حلوله او لانه يعتقد عقوبة تحل به بعد الموت او لانه متحير لا يدرى على اى شئ يقدم بعد الموت او لا يأسف على ما يخلفه من المال والقنيا وهذه كلها ظنون باطلة لا حقيقة لها اما من جعل الموت وما هو فانا نبين له ان الموت ليس لشئ اكثر من ترك النفس استعمال الاته وهى الاعضاء التى مجموعها يسمى بدنا كما يترك الصانع استعمال الاته فان النفس جوهر غير جسمانى وليست عرضا وانها غير قابلة للفساد وهذا البيان يحتاج قبل ان يتقدمه وهو برهن مشروح على الاستقصاء فى فحوى الخاص ومن تطلع اليه والتمس الوقوف عليه لم يبعد عليه ومن قنع بما ذكرته فى سد هذا الكتاب وسكنت نفسه اليه علم ان ذلك الجوهر مغاير لجوهر البدن مباين له كل المباينة

بذاته وخواصه وافعاله واثاره فاذا فارق البدن كما قلنا وعلى الشريطة التى شرطنا بقى البقاء الذى يخصه ونفى مركز الطبيعة
وسعد السعادة التامة ولا سبيل الى فنائه وعدمه فان الجوهر لا يفنى من حيث هو جوهر ولا يبطل ذاته وانما يبطل الاعراض الخواص
والنسب والاضافات التى بينه وبين الاجسام باضدادها فاما الجوهر فلا ضد له وكل شئ يفسد فانما فساده من ضد او يمكنك
ان تقف على ذلك بسهولة من اوايل المنطق قبل ان تصل الى براهينه وان انت تاملت الجوهر الجسمانى الذى هو الخشب من ذلك
الجوهر الكريم واستقريت حاله وجدته غير فان ولا متلاش من حيث هو جوهر وانما يستحيل بعضه الى بعض فيبطل خواص شئ شئ
منه واعراضه فاما الجوهر نفسه فهو باق لا سبيل الى عدمه وبطلانه مثال ذلك الماء فانه يستحيل بخارا وهواء وكذلك
الهواء يستحيل ماء ونارا فيبطل عن الجوهر اعراضه وخواصه واما الجوهر من حيث هو جوهر فهو باق لا سبيل الى عدمه هذا
فى الجوهر الجسمانى القابل للاستحالة والتغير فاما الجوهر الروحانى الذى لا يقبل استحالة ولا تغيرا فى ذاته وانما يقبل كمالاته
وتمامات صورة فكيف يتوهم فيه العدم والتلاشى فاما من يخاف الموت لانه لا يعلم الى اين تصير نفسه او لانه يظن ان بدنه
اذا انحل وبطل تركيبه فقد انحلت ذاته وبطلت نفسه وجهل بقاء النفس وكيفية المعاد فليس يخاف الموت على الحقيقة وانما
يجهل ما ينبغى ان يعمله فالجهل اذن هو المخوف اذ هو سبب الخوف وهذا الجهل هو الذى حمل الحكماء على طلب العلوم والتعب
به وتركوا لاجله لذات النفس وراحات البدن واختاروا عليه النصب والسهر ورأوا ان الراحة التى يستراح بها من الجهل
هى الراحة بالحقيقة وان التعب الحقيقى هو تعب الجهل لانه مرض مزمن للنفس والبرء منه خلاص لها وراحة سرمدية ولذة
ابدية فلما ايقن الحكماء ذلك واستبصروا فيه وهجموا على حقيقته وصلوا الى الزوج والراحة به هانت عليهم امور الدنيا
كلها واستحقروا جميع ما يستعظمه الجمهور من المال والثروة واللذات الحسية والمطالب الذى تودى اليها اذا كانت قليلة
الثبات والبقاء سريعة الزوال والفناء كثيرة الهموم اذا وجدت عظيمة الغموم اذا افقدت فاقتصروا فيها على المقدار
الضرورى فى الحياة ويسلوا عن فضول العيش التى فيها ما ذكرت من المصوب ما لم اذكره لانها مع ذلك بلا بقاء
وذلك ان الانسان اذا بلغ منها الى غاية ثابت نفسه الى غاية اخرى من غير وقوف على حد ولا انتهاء الى امد وهذا
هو الموت ولا ما خاف منه والحرص عليه هو الحرص على الزائل والشغل به هو الشغل بالباطل ولذلك جزم الحكماء
الحكم بان الموت موتان موت ارادى وموت طبيعى وكذلك الحيوة حيوتان حيوة ارادية وحيوة طبيعية عنوا بالموت الارادى
اماتة الشهوات وتركها لتعرضها وعنوا بالموت الطبيعى مفارقة النفس البدن وعنوا بالحيوة الارادية ما يسعله

له الانسان فى حيوته الدنيا من المآكل والمشارب والشهوات وبالحيوة الطبيعية بقاء النفس السرمدى فى الغبطة
الابدية بما يستفيده من العلوم ويبرائه من الجهل ولذلك وصى افلاطن طالب الحكمة بان قال له مت بالارادة تحيى
بالطبيعة على ان من خاف الموت الطبيعى للانسان فقد خاف ما ينبغى ان يرجوه وذلك ان هذا الموت هو تباعد
الانسان الانرحى ناطق مائت فالموت تمامه وكماله وبه يصير الى افقه الاعلى ومن علم ان كل شئ هو مركب من حد ورسم
مركب من جنسه وفصله وان جنس الانسان هو الحى وفصله هو الناطق المائت علم انه سيحلل الى جنسه وفصله لان كل مركب
لا محالة سيحلل الى الشئ الذى منه تركب فمن اجهل ممن يخاف تمام ذاته ومن اسوء ممن يظن ان منا بحيوته ونقصانه بتمامه
وذلك ان الناقص اذا خاف ان يتوفر دل من نفسه على غاية الجهل فاذن يجب على العاقل ان يستوحش من النقصان
ويأنس بالتمام ويطلب كل ما يتمه ويكمله ويشرفه ويعلى منزلته ويجل باطنه من الوجه الذى يأمن به الوقوع فى الاسر لا
من الوجه الذى يشد وثاقه ويريده تركيبا وتعقيدا ويثق بين الجوهر الشريف الالهى اذا تخلص من الجوهر الكثيف البهيمى
خلاص نقاء وصفو لا خلاص نزاع وكدر فقد سعد وعاد الى ملكوته من باريه وفاز بجوار رب العالمين وخالط الارواح
الطيبة من اشكاله واشباهه وبخاصة من اضداده واغياره ومن ههنا نعلم ان من فارق نفسه بدنه وهى مشتاقة
اليه مشفقة عليه خائفة من فراقه فهى فى غاية الشقاء والبعد من ذاتها جوهرها ساكنا الى ابعد جهاتها من مستقرها
طالبة قرارا من لا قرار له فاما من ظن ان للموت المخيف غير الم الامراض التى ربما تقدمته وادت اليه فعلاجه ان يعلم
له ان هذا ظن كاذب لان الالم انما يكون للحى والحى هو القابل اثر النفس فاما الجسم الذى ليس فيه اثر النفس فانه
لا يألم ولا يحس فى ذلك الموت الذى هو مفارقة النفس البدن لا الم له لان البدن انما كان يألم ويحس بالنفس وحلول
اثرها فيه فاذا صار جسما لا اثر فيه للنفس فلا حس له ولا الم فقد تبين ان الموت حال للبدن غير محسوس عنده ولا
مولم لفراق ما به كان يحس ويتألم فاما من خاف الموت لاجل العقاب الذى يوعد به بعده فينبغى ان يبين له انه ليس يخاف
الموت بل يخاف العقاب والعقاب انما يكون على شئ باق بعد البدن الدائر ومن اعترف بشئ باق منه بعد البدن فهو لا محالة
سيعترف بذنوب وافعال سيئة يستحق عليها العقاب وهو مع ذلك معترف بحاكم عدل يعاقب على السيئات لا على الحسنات
فمن ذا خائف من ذنوبه لا من الموت ومن خاف عقوبة على ذنب فالواجب عليه ان يحذر ذلك الذنب ويجتنبه وقد بينا فيما
تقدم ان الافعال الردية التى تستحق ذنوبا انما تصدر عن هيئات ردية والهيئات الردية هى النفس هى الرذايل التى احصيناها

وعرفنا اضدادها من الفضايل فاذن الخائف من الموت على هذه الطريقة ومن هذه الجهة هو جاهل بما ينبغي ان يخاف
منه وخائف مما لا ينبغي ان يخاف منه وعلاج الجهل العلم ومن علم فقد تهيأ له من التوفيق ما يسهل عليه السعادة فهو يسلكها وسلك
طريقا مستقيما الى غرض افضى اليه لا محالة وهذه النقطة التي تكون انتهاء العلم وهي اليقين وهي حال المستبصر في دينه المستمسك
بحكمته وقد عرفناك مرتبته ومقامه فيما سلف من القول فاما من زعم انه ليس يخاف وانما يحزن على ما يخلف من اهل
وولد ومال ويتسبب في تاسف على ما يفوته من ملاذ الدنيا وشهواتها فسينبغي ان نبين له ان الحزن يجلب الم وكره
على ما لا يجدي الحزن عليه طائلا وسنذكر علاجه في باب مفرد له خاص به لانا في هذا الباب انما نذكر الم الخوف وعلاجه
وقد اثبتنا منه على ما ينه مقنع وكفاية الا انا نزيده بيانا وشرحا فنقول ان الانسان من جملة الامور الكائنة فقد تبين في
الاراء الفلسفية ان كل كائن فاسد لا محالة فمن احب انسانا لا يفسد فقد احب ان لا يكون ومن احب ان لا يكون فقد احب
فساد ذاته فكانه يحب ان يفسد ويحب ان يكون ويحب ان لا يكون وهذا محال لا يخطر ببال عاقل وايضا فانه لو
لم يمت انسان ابدا او ابا ونا لم ينته الوجود الينا ولو جاز ان يبقى الانسان لبقي ما تقدمنا ولو بقي الناس على ما هو عليه
الناسل لم يموتوا لما في سعتهم الارض وانت تتبين ذلك مما اقول نزل ان رجلا واحدا من كان منذ اربعة سنة
هو موجود الان ولكن من مشاهير الناس حتى يمكن ان يحصل اولاده موجودين معروفين لعل ابراهيم الخليل عليه السلام
مثلا وولده اولاد واولاد اولاده اولاد وبقوا كذلك يتناسلون ولا يموت منهم احد كم كان مقدار من يجتمع منهم في وقتنا
هذا فانك ستجد هذا اكثر من عشرة الف الف رجل وذلك لان جملتهم الان مع ما قد رفع منهم من الموت والقتل الذريع اكثر من
مائة الف انسان وحسب كل من كان في ذلك العصر من الناس في بسيط الارض شرقا وغربا مثل هذا الحساب فانهم اذا
تضاعفوا هذا التضاعف لم تضبطهم كثرة ولم يحصهم حد ولم يسع بسيط الارض فانه بحد معروف المساحة لنعلم ان الارض
حينئذ لا يسعهم قياما وتراصين كيف قعودا ومتصرفين ولا يبقى موضع لعمارة يفضل عنهم ولا مكان لراعة ولا مسير احد
لاحركة فضلا عن غيرها وهذا في مدة يسيرة من الزمان فكيف اذا امتد الزمان وتضاعف الناس على هذه النسبة فقد
حال من يتمنى الحياة الابدية ويكره الموت ويظن ان ذلك ممكن او مطموع فيه من الجهل والغباوة فان الحكمة البالغة
والعدل المبسوط بالتدبير الالهي هو الصواب الذي لا معدل عنه ولا محيص منه وهو غاية الجود الذي ليس وراءه غاية
اخرى لطالب يتزيد وراغب يستفيد والخائف منه هو الخائف من عدل الباري وحكمته بل هو الخائف من وجوده وعطائه فقد

فقد ظهر لك حينئذ ان الموت ليس بشيء كما يظنه جهور الناس وانما الذي هو المخوف منه وان الذي يخاف منه هو الجاهل به وبذاته وقد كان ظهر ايضا مما تقدم من قولنا ان حقيقة الموت هو مفارقة النفس للبدن وهذه المفارقة ليست فساد النفس وانما هو فساد المركب فانما جوهر النفس الذي هو ذات الانسان وخلاصته فهو باق وليس يحتاج فيه ما لزم في الاجسام اما وذهاه قبيل بل لا يلزمه شيء من اعراض الاجسام اي لا يتزاحم في المكان لانه لا يحتاج الى مكان ولا يحرص على البقاء الزماني لاستغنائه عن الزمان وانما استفاد بالحواس والاجسام كمالا فاذا اكمل بها تخلص منها صار الى عالمه الشريف القريب الى باريه ومنشيه تعالى وتقدس وهذا الكمال الذي يستفيده بهذا العالم الحسي قد بيناه وعرفناك الطريق اليه بما سلف في هذا الكتاب وانه السعادة القصوى للانسان واعلمنا ان ضده الذي هو الشقاء الاقصى واثبتنا مع ذلك مراتب السعداء ومنازل الابرار ودرجاتهم من رضوان الله عز وجل وجنته التي هي دار القرار كما بينا لك مراتب اضدادهم من سخطه ودركاتهم من النار التي هي الهاوية بلا قرار نسئل الله حسن المعونة على ما يقربنا منه انه جواد كريم رؤف رحيم

علاج الحزن الحزن الم نفساني يعرض لفقد محبوب او فوت مطلوب وسببه الحرص على القنيا الجسمانية والشرة الى الشهوات البدنية والحرقة على ما يفقده او يفويه منها وانما يخرج الحزن فقد محبوب او فوت مطلوب من يظن ان ما يحصل له من محبوبات الدنيا يجوز ان تبقى وتثبت عنده وان جميع ما يطلبه من مفقوداتها الابدان يحصل له ويضيء في ملكه فاذا انصف نفسه وعلم ان جميع ما في عالم الكون والفساد غير ثابت ولا باق وانما الثابت الباقي هو ما يكون في عالم العقل لم يطمع في المحال ولم يطلبه فاذا لم يطمع فيه لم يحزن لفقده ما يراه ولا لفوت ما يتمناه في هذا العالم فصرف سعيه الى المطلوبات الصافية واقتصر همته على طلب المحبوبات الباقية واعرض عما ليس من طبعه ان يثبت ويبقى واذا حصل له منها شيء بادر الى وضعه في موضعه واخذ منها مقدار الحاجة الى دفع الآلام التي احصيناها من الجوع والعرى والضرورات التي تشبهها وترك الاذخار والاستكثار والتماس المباهاة والافتخار ولم يحدث نفسه بالمكاثرة بها والتمني لها فاذا فارقته لم تاسف عليها ولم يبال بها فان من فعل ذلك امن فلم يجزع وفرح فلم يحزن وسعد ولم يشق ومن لم يقبل هذه الوصية ولم يعالج نفسه بهذا العلاج لم يزل في جزع دائم وحزن غير منقض وذلك انه لا يعدم في كل حال فوت مطلوب او فقد محبوب وهذا لازم لعالمنا هذا لانه عالم الكون والفساد ومن طمع من الكائن الفاسد ان لا يكون ويفسد فقد طمع في المحال ومن طمع في المحال لم يزل خائبا والخائب ابدا

محزون والمحزون شقي ومن استشعر العادة الجميلة لن يرضى بكل ما يجده ولا يحزن لشيء يفوته لم يزل مسرورا سعيدا فان ظن ظان ان هذا الاستشعار لا يتم ان لا ينتفع به فلينتظر الى استشعار الناس في مطالبهم ومعايشهم واختلافهم فيها بحسب قوة الاستشعار ونزيد ترتيبه ظاهرة فرح المتعيشين بمعايشهم على تفاوتها وسرور اصحاب الحرف المختلفة بمتاجرهم على تباينها وليتصفح ذلك في طبقة طبقة من الدهماء فانه لا يخفى عليه فرح التاجر بتجارته والجندي بشجاعته والمقامر بقماره والشاطر بشطارته حتى يظن كل واحد منهم ان المغبوط من حدوتلك الحالة حتى فقد بعضها والمجنون من غبي عنها وحرم لذاتها وليس ذلك الا بقوة استشعار كل طائفة لحسن مذهبه ولزومه اياه بالعادة الطويلة اذا لزم طالب الفضيلة مذهبه وقوى استشعاره وحسن رائه وطالت عادته كان اولى بالسرور من هذه الطبقات الذين يخطؤن في جهالتهم كان اخطاهم بالنعيم المقيم لانه محق وهم مبطلون وهو متيقن وهم ظانون وهو صحيح وهم مرضى وهو سعيد وهم اشقياء وهو ولي الله وهم اعداؤه وقد قال الله عز وجل الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقال الكندي في كتاب دمع الاحزان ما يدلك دلالة واضحة على ان الحزن شيء يحتلبه الانسان ويضعه وضعا وليس هو من الاشياء الطبيعية ان من فقد ملكا او طلب امرا فلم يجده ولحقه حزن ثم نظر في حزنه ذلك نظر احكيما وعرف ان اسباب حزنه هي اسباب غير ضرورية وان كثيرا من الناس ليس لهم ذلك الملك وهم غير محزونين بل فرحين مغتبطين علم علما لا ريب فيه ان الحزن ليس بضروري ولا بطبيعي وان من حزن من الناس وجد في نفسه هذا العارض فهو لا محالة سيسلو ويعود الى حاله الطبيعي فقد شاهدنا قوما فقدوا من الاولاد والاعزة والاصدقاء والاحبة من اشتد حزنهم عليهم ثم لا يلبثون ان يعودوا الى حال المسرة والضحك والغبطة ويصيروا الى حال من لم يحزن قط وكذلك حال من يفقد المال والضياع وجميع ما يقتنيه الانسان مما يحزن عليه ويحزن فانه لا محالة يتسلى ويزول حزنه ويعود الى المسرة اغتبط فطن العاقل اذا نظر الى احوال الناس في الحزن واسبابه علم انه ليس يختص من بينهم بمصيبة غريبة ولا يتميز عنهم بمحنة بديعة وان عاينه من مصيبة السلوة وان الحزن هو عرض عارض يجري مجرى سائر الاذاءات فلم يضع لنفسه عارضا دنيا ولم يكسب مرضا وضيعا اعني محتلبا عن طبعي وينبغي ان يتذكر ما قدمنا ذكره من حال من يحمي نجيبة على من يشهها ويتمتع بها ثم يراها تعيبه ويتمتع بها سواه فاطمئنه نفسه فيها فظن انها موهوبة له هبة ابدية فلما احدثت منه حزنا واسفا وغضبا في هذه الحال من عدم عقله وطمع ولا

لا مطمع فيه وهذه حال الحسود لانه يجب ان يستبد بالخيرات من غير مشاركة الناس والحسد اتعج الامراض واشنع الشرور
ولذلك قالت الحكماء من احب ان ينال اعداؤه الشر فهو محب لشر ومحب الشر مشرير وشر من هذا من احب الشر لمن
يسئ بعدو واسوء حالا من هذا من احب ان لا ينال اصدقاءه خيرا ومن احب ان يحرم صديقه الخير فقد
احب له الشر ويجئ من هذه الرداءات الحزن على ما يفتنا وله الناس من الخيرات وان يحسدهم على ما يصلون
اليه منها وسواء كانت هذه الخيرات من قينا تنا وما ملكناه او مما لم نقتنه ولم نملكه لان الجميع مشترك للناس
وهي ودايع الله عز وجل عند خلقه وله ان يرتجع العارية متى شاء على من شاء لا مشيئة علينا ولا اعتراض لنا في ودايعه وانما
العار والسيئة ان نحزن اذا ارتجع منا منها وهو معذ لك كفر للنعمة لان اقل ما يجب من الشكر للمعير ان يرد عليه العارية
على طيب نفس وسريع الى اجابته اذا استردها لا سيما اذا ترك المعير علينا افضل ما اعارنا وارتجع احسه قال وانما
بالافضل لاجل ما لا يصل اليه يد ولا يشركه فيه احد اعني النفس والعقل والفضايل الموهوبة لنا هبة لا ارتجاع لها
لنسترد ونقول له الاقل الاخس لما اقتضاه العقل فقد ابقى الاكثر الافضل وانه لو كان واجبا ان يحزن بكل ما
قد يفقد لوجب ان يكون ابدا محزونين فينبغي للعاقل ان لا يفكر في الاشياء الضارة المؤلمة وان يقدم من القينة
ما استطاع اذ كان نقدها سببا للاحزان فقد حكي عن سقراط انه سئل عن سبب نشاطه
وقلة حزنه فقال لا اقتني ما ذا فقدته حزنت عليه واذ قد ذكرنا اجناس الامراض العارضة
التي تخص النفس واشرنا الى علاجاتها ودللنا على اشفيتها فليس يعذر على العاقل
المحب للنفس السعي لها بما يخلصها من الامها وينجيها من مهالكها ان تصفح الامراض
التي تحت هذه الاجناس من انواعها واشخاصها فيداوي نفسه منها وبعالجها
بمقابلاتها من العلاجات والرغبة الى الله عز وجل بعد ذلك في
التوفيق فان التوفيق مقرون بالاجتهاد ليس يتخلفه
الا بالاخر والحمد لله رب العالمين والصلوة
على نبيه محمد وآله
الطاهرين

الطهارة

الحمد لله الذی ہذب الانسان بتہذیب الاخلاق وطہرہ بتطہیر + وفضلہ علی سائر المخلوقات بالفضائل العلیۃ وزورہ بتوقیر + والصلوۃ والسلام علی رسولہ محمد الذی شرف العالم بالایمان ونورہ بتنویر + وعلی آلہ واصحابہ الذین ہم جمعوا القرآن وفسروہ بتفسیر + اما بعد فیقول العبد المفتاق الی رحمۃ اللہ القوی المدعو بہ محمد معشوق علی + ضاللہ عن شرکل غی وغبی + ان الرسالۃ المسماۃ بکتاب الطہارۃ فی تہذیب الاخلاق للحکیم الکامل من المتاخرین + وہو علی بن یعقوب مسکویہ الخازن الرازی + لما کانت مشتملۃ علی فوائد لطیفہ + وقواعد شریفہ + ومطالب عجیبہ + ومآثر غریبہ + وصارت بقصورہم الطالبین مستورۃ تحت الاستار + حتی لم توجد الا نسخۃ واحدۃ ناقصۃ فی ہذہ الامصار + فتوجہ عنان عنایۃ الصباحب المکرم + والحاکم المعظم + المنصف المفخم + العادل الاکرم + السخی الاعظم + کبتان فلی جرہس صاحب بہادر قائم مقام صاحب رزیڈنٹ بہادر بہ بت السلطنت لکنو + لازال شموس اقبالہ طالعۃ + الی ان یظہرہا غایۃ الاظہار + وینتشرہا نہایۃ الانتشار + ویشہرہا کالشمس فی نصف النہار + والبدر فی لیالی الاقمار + فامر بطبعہا فی المطبعۃ العلویہ + فکلفنی صاحب المطبع بتصحیحہ وتنقیحہ + وحل لغاتہ وتوضیحہ + فلم آل جہدا فیہ + وقد وقع الفراغ عن طبع ذلک الکتاب نہار الثالث عشر + من شہر صفر المظفر + سنۃ الف ومائتین واحدی وستین من الہجرۃ النبویہ + علی صاحبہا الصلوۃ والتحیۃ + فالحمد للہ اولا وآخرا +

فقط + + + +

+ + +

†